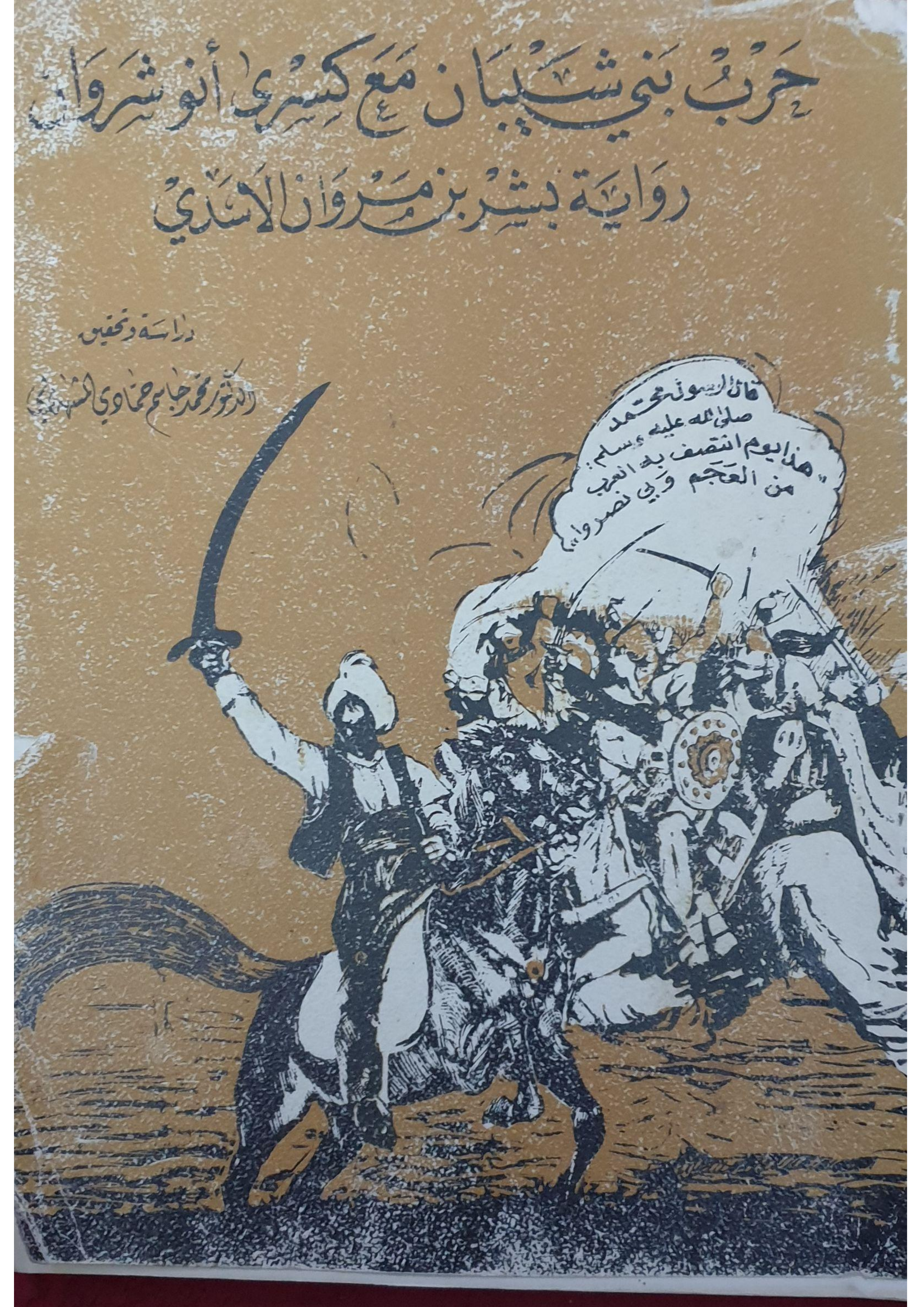

حرب بني شيبان مع كسرى أنوشروان
رواية بشر بن مروان الأسدي
دراسة وتحقيق
الدكتور محمد جاسم حمادي المشهداني
قال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم: "هذا اليوم انتصف به العرب من العجم وبي نصروا"



السيد وزير الثقافة والاعلام المحترم

مع فائق تقديري واعتزازي

المحقق

أ.د. محمد جاسم حمادي المشهداني

١٩٩٤/٥/٢٥

حرب بني شيبان

مع كسرى أنوشروان

رواية بشر بن مروان الأسدي

تحقيق

الدكتور محمد جاسم حمادي المشهداني

الجامعة المستنصرية

الأهـــــداء . . . . .

الى الذين قال الله تعالى في حقهم :

بسم الله الرحمن الرحيم

«ولاتَحْسَبَن الَّذينَ قُتِلُوا في سَبيل اللهِ اَمْواتاً بَلْ اَحْيآءٌ عِندَ رَبهِمْ يُرْزَقون فَرِحينَ بما آتيهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ويَسْتَبشِرُون بالَّذينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمِ مِن خَلْفِهِمِ الاّخوفٌ عَلَيْهِم ولاهُمْ يَحزَنُونَ»

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

يدخل تنظيم الكتاب ضمن الكتب المصنفة في سياق قصص الايام التي كانت سائدة عند العرب قبل الاسلام ، والتي استمرت فيما بعد في العصور العربية الاسلامية ، ويُعَدُّ هذا النوع من الكتابات شبه التاريخية ، عربي الأصل والمنشأ ، واصبح فيما بعد جزءاً من الاخبار التاريخية لذلك قال حاجي خليفة : «عِلمُ ايام العرب هو عِلمٌ يبحث عن الوقائع العظيمة والاحوال الشديدة بين قبائل العرب . . . والعلم المذكور ينبغي أن يُجْعَلَ فرعاً من فروع التواريخ»[1]

إلا أن قصص الايام لا يمكن أن ترتقي الى مستوى التأليف التاريخي المنهجي الذي تبلور واستقر فيما بعد ، وتعددت اصنافه وأغراضه ، والذي يخضع لقواعد منهجية متعارف عليها عند المحدّثين والمؤرخين معاً . ذلك لأن ما يميّز قصص الايام أنّ اسلوبها قصصي يجمع بين النثر والشعر الذي يُعَدُّ الوثيقة التي تصحح القصة . وقد تأثر اسلوبها الى حدٍّ ما بالعواطف القبلية لان مواضيعها مرتبطة بالمآثر والمُثُلْ والفضائل القبلية والاجتماعية ، والتي كان لها اثرها في المجتمع القبلي قبل الاسلام ، لذلك كانت قصص الايام تلقى عناية خاصة في المجالس القبلية والمجتمع عموماً ، فكان لكل قبيلة قصاصون يجمعون اخبارها ، وقصصها ، ووقائعها ، واحداثها ، وامجادها ، فهي ارث مشترك لكل قبيلة يعكس صورة عن واقع القبيلة بكل ما يحويه من اسلوب حياتهم ، وشأنهم في الحرب والسلم ، والوحدة والفرقة ، والفداء والاسر ، والاستقرار والتجوال ، كما تبين فضائلهم وشمائلهم وعلاقاتهم فيما بينهم وبين بقية القبائل العربية ، وبينهم وبين الامم الأُخرى احياناً ، فالايام تصور حياة الأمة العربية في شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام .

وكانت القصص تعتمد اسلوب الرواية الشفوية الذي كان سائداً بين العرب قبل الاسلام ، حيث تتناقل الرواية من جيل لآخر بين ابناء القبيلة ، واستمر هذا الاسلوب حتى بعد ظهور الاسلام ، وخاصة في القرن الثاني الهجري ، عندما تبلور واستقر التدوين التاريخي ، حيث جمعت الروايات القبلية وصنفت في الامصار الاسلامية الجديدة التي

---

(١) حاجي خليفة ، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ج ١ (استانبول ، ١٩٤١) ص ٢٠٤ والدكتور عبد العزيز [illegible] بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب (بيروت ، ١٩٦٠) ص ١٧ .

كانت قد تأثرت في تخطيطها وتنظيمها بالتنظيمات القبلية ، واثرت بدورها على البدايات الاولى لنشأة علم التاريخ عند العرب ، الذي نحا منحى قبلياً في مدرستي البصرة والكوفة التاريخيتين ، فبرزت كلتاهما بتدوين تاريخ الانساب العربية ، وبرع النسابون والمؤرخون في ذلك ، وقد ظل الاتجاه القبلي في كتابة التاريخ ظاهراً ، الى أن جاء التأثير الاسلامي لمدرسة المدينة المنورة التاريخية التي اثرت في اصناف التدوين التاريخي في العراق .

ولذلك نجد اهتمام اوائل المؤرخين العرب بالكتابة في ايام العرب ، وخاصة هشام ابن محمد بن السائب الكلبي الكوفي (ت ، ٢٠٤هـ) الذي قال عنه ابن النديم أنه : «عالم بالنسب وأخبار العرب وايامها . . .»[٢] ، والف عدة كتب في ايام العرب منها[٣] :

١ - كتاب ايام فزارة ووقائع بني شيبان .
٢ - كتاب وقائع الضّباب وفزارة .
٣ - كتاب ايام الكلاب وهو يوم النشاش .
٤ - كتاب ايام بني حنيفة .
٥ - كتاب ايام قيس بن ثعلبة .
٦ - كتاب يوم سنيف .
٧ - كتاب الايام .

أما ابو عبيدة معمر بن المثنى البصري (ت ، ٢١٠ هـ) فأنه صنف عدة مؤلفات في ايام القبائل واخبارها منها[٤] :

١ - كتاب ايام بني يشكر واخبارهم .
٢ - كتاب ايام بني مازن وأخبارهم .
٣ - كتاب الايام ويحتوي فيما يروى على خمس وسبعين يوماً .

وكتب ابو جعفر محمد بن حبيب بن أمية البغدادي[٥] :

---

(٢) ابن النديم ، الفهرست ، تحقيق رضا تجدد (طبعة ، ١٩٧١) ١٠٨ .
(٣) نفسه ، ١١٠ .
(٤) نفسه ، ٥٩ ، ٦٠ .
(٥) نفسه ، ١١٩ .

١ – كتاب ايام جرير التي ذكرها في شعره .
٢ – كتاب القبائل الكبير والايام .

أما فيما يتعلق بمخطوطة «كتاب حرب بني شيبان مع كسرى انوشروان» فأنه يبدأ برواية بشر بن مروان الاسدي ، ورواة آخرين ، لم تذكر اسماء بعضٍ منهم إلا أن أغلب رواية الكتاب كانت عن بشر بن مروان الاسدي ويلاحظ من سياق المخطوط أنه هو المؤلف الحقيقي الذي أعتمدت رواية الكتاب عليه ، إلا أن مما يؤسف عليه أننا لم نجد ترجمة لهذا الراوي بعد رجوعنا الى كتب الرجال ، وكتب الجرح والتعديل ، وقد وقفنا على ترجمة بشر بن موسى الاسدي البغدادي المتوفى سنة ٢٨٨هـ[٦] . إلا أننا لم نهتد الى معرفة احتمال تحريف «موسى» الى «مروان» لأننا لم نعرف ولم نقف على ترجمة شيوخ بشر بن مروان الاسدي الذين وردت اسماء بعضهم في المخطوط ، كما أننا لما قارناهم بأسماء شيوخ بشر بن موسى الاسدي لم نجد أيّ تطابق بين اسماء اي منهم ، اضافة الى ذلك أن شيوخ بشر بن مروان الاسدي الذين ورد ذكرهم في المخطوط لا تتعدى خمسة اسماء فقط ، الامر الذي لا يلقي لنا ضوءاً واضحاً على امكانية احتمال روايته على شيوخ اخرين قد نستطيع من خلالهم التعرف على شخصية بشر بن مروان الاسدي ، ويبدو ان رواياته كانت مقتصرة عليهم وكان يوثقهم الى حدٍ كبير فيقول في أحدى رواياته : «وكل من لا يروي السيرة ولا يستند الى العلماء الثلاثة وهم اخطب بن يوشع ، وسعيد بن ربيعة ، وعبد الواحد بن الياس التميمي غير عارف مخطئٌ . . .»[٧] ، ومن شيوخه الذين روى عنهم عبد الله بن صبيح الكلابي عن ذؤيب بن نافع الحنفي» ، وفي نص يروي بشر عن ذؤيب بن نافع الحنفي مباشرة وبعد رجوعنا الى كتب الرجال ، وكتب الجرح والتعديل لم نقف على ترجمة أيّ منهم ، ولذلك فأننا لم نستطيع أن نجزم من هو المؤلف الحقيقي للمخطوط وعسى أن يهتدى الى التعرف عليه مستقبلا .

---

(٦) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ٧ (القاهرة ، ١٣٤٩هـ) ص ٨٦ .
(٧) المخطوطة ورقة ٢ ب نسخة المكتبة القادرية .

أن رواة قصص الايام قد تأثروا بالاساليب الأدبية والتاريخية التي تبلورت في القرن الثاني الهجري ، اضافة الى تأثرها بالاسلوب القرآني ، فقد وردَ في ثنايا المخطوط ما نصه : (. . . فحمل برجاله وبعده ابوه وفرسان قومه المعدودة في الكتائب وقومهم من بعدهم ، ورفع الخلاف ، «والتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ»[^8] كما يلاحظ استخدام الفاظ المحدثين والمؤرخين في تحمل الرواية مثل «حدثني» و «حدثنا» و «قال» . كما أنه ينتقد بعض الروايات التاريخية ، عندما أتهم بعض الرواة بقوله : «قوم مبدعون مزورون جاهلون» وقوله «والقول الصادق والدليل الواضح هو . . .»[^9] . ويضعّف بعض الروايات بقوله : «فزعم الثقاة من اهل هذه السيرة . . .»[^10]

كما لاحظنا في المخطوط قوة الاسلوب الادبي الذي دوّنت فيه ، وكثرة ايراد الشعر الذي يُعَدّ ميزة لتداول الروايات الشفوية ، حيث يتخلل القصة خاصة وأن قسماً من الشعراء كانوا من المشاركين بأحداثها ، الامر الذي يعطي للمخطوطة حيويةً أكثر ، وتأثيراً أشد .

كما أنها تحتوي على معلومات تاريخية واسعة عن الشجاعة والبطولة العربية ، وتُعَدّ جزءاً من الاخبار التاريخية لتاريخ القبائل العربية في العراق ، اضافة الى احتوائها على معلومات مهمة عن التنظيمات العسكرية التي كانت تعتمدها القبائل العربية في العراق في حروبها ضد اعدائها .

وتبين لنا المخطوطة أن قصص الايام التي كانت موجودة عند العرب قبل الاسلام قد استمرت بعد ظهوره ، وخاصة بعد تبلور التدوين التاريخي ، وتعدد أنواعه ، ويبدو أن استمرار هذا النوع من القصص التاريخي وهذه المخطوطة كان بتأثير الحركة الشعوبية التي حاولت أن تتفاخر بأمجاد فارس ، ومحاولاتها الطعن بالمثل والقيم العربية ، في حين ابرزت المخطوطة أمجاد العرب في العراق ، وبطولاتهم الرائعة ، الامر الذي لم يكن يرضي رواد الحركة الشعوبية ، خاصة وقد اكدت المخطوطة على دور القبائل العربية وخاصة بنو شيبان الذين تزعمّوا بشرف القبائل العربية في حروبها ضد الفُرس ، التي توجت بالانتصار العظيم في معركة ذي قار الحاسمة ضد الفرس ، ذلك الانتصار الذي كان له وقع في نفوس

---

[^8]: (٨) سورة القيامة ، اية ٢٩ ، إنظر المخطوط ورقة ٣١ ب النسخة القادرية .
[^9]: (٩) انظر المخطوط ، ورقة ٢ ب (النسخة القادرية) .
[^10]: (١٠) نفسه ، ورقة ١٨ ب .

العرب ، لا في العراق وحده وأنما دوّى صداه في جميع جزيرة العرب ، وهي من الوقائع الفاصلة في تاريخ الجزيرة كان لها اثرها حتى على حركة الفتح العربي الاسلامي للعراق .

ويبدو أن يوم ذي قار لم يكن يوماً واحداً ، أو معركة واحدة وقعت في ذي قار وأنتهى امرها بأنتصار العرب على الفرس ، بل هو جملة معارك وقعت قبلها ثم ختمت بذي قار ، حيث كانت المعركة الفاصلة فنُسبت المعارك من ثم الى هذا المكان ، ومن هذه الايام ، يوم قراقر ، ويوم الحِنْو حِنْو ذي قار ، ويوم حنو قُراقِر ، ويوم الجُبابات ، ويوم ذي العُجرْم ، ويوم الغذوان ، ويوم البطحاء ، بطحاء ذي قار ، وكلهن حول ذي قار ، ولذلك نجد أن المخطوطة تحتوي خمسة وقائع كبري بين العرب والفُرس كانت الخامسة واقعة ذي قار الفاصلة (١١) .

أن النصر العربي الكبير الذي تحقق في ذي قار فلم يكن مصادفة ، وأنما كان امتداداً تاريخياً لجملة من الانتصارات التي حققتها القبائل العربية في مدينة الحيرة العراقية عندما حقق المناذرة الذين كانوا يحكمون فيها ، عدة إنتصارات متواصلة على الامبراطورية الرومانية في أوج عنفوانها وقوتها ، فقد تمكن ملك الحيرة أمرؤ القيس بن جذيمة الابرش من بسط نفوذه على بلاد الشام وأعترف به الروم ملكاً على عرب بلاد الشام ، وكان النعمان بن امرئ القيس رجُلاً شجاعاً هاجم الدولة الرومانية مراراً ، فسبى وغنم منهم ، واستطاع الاسود بن المنذر من الانتصار على الغساسنة في بلاد الشام ، وتمكن ملك الحيرة عمرو بن هِنْد من مَدّ نفوذه من عمّان الشام الى ملح في اليمامة ، وغزا بني تغلب ، وطيئاً ، وبني دارم ، واغار على الدولة الرومانية في الشام سنة ٥٦٣م ، ٥٦٦م ، ٥٦٧م . وهاجم قابوس بن المنذر الامبراطورية الرومانية في الشام ووصل الى مدينة انطاكية (١٢) .

منَ هذا يتبين لنا أن عرب الحيرة كان لهم شأن كبير ، ونفوذ واسع لا كما يتصور ويروج البعض من أنهم كانوا عُمّالاً لملوك فارس ، بل كان لهم وزنهم في العراق وفي المنطقة ولهم اثرهم الواضح في صُنع احداثها ، حتى أن الفرس كانوا في بعض الاحيان يستعينون بهم

---

(١١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ج ١ (القاهرة ، ١٩٨٠) ١٩٣ .

(١٢) الدكتور جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٣ (بيروت ، ١٩٦٩) ١٩١ ، ١٩٩ ، ٢٠٩ – ٢١٠ ، ٢٤٢ ، ٢٠٦ ، ٢٧٢ .

ويستنجدون بهم لترجيح ميزان القوى في داخل بلاد فارس ، كما حصل للمنذر بن النعمان الذي اعادَ بهرام حور ملكاً على ايران بعد أن ابعده الفُرس مِن منصبه .

كانت الامبراطورية الفارسية تدرك قوة المناذرة ولم تجرب حظها في صراعها معهم ، فآثرت اقامة العلاقات الحسنة معهم ، ولكنهم في نفس الوقت كانوا يحاولون القضاء عليهم ، والحاقهم تبعاً لبلاد فارس ، لذلك تشير المصادر الى أنهم أسّروا الاسود بن المنذر ملك الحيرة ومات سنة ٤٩٤م[١٣] ، ومن ثم غدروا بالنعمان بن المنذر ملك الحيرة وَبأبنائه ، وسجنوه مع ابنائه وقضوا على الحكم العربي في الحيرة ، ظناً منهم بأن هذا العمل سيقضي على روح القوة العربية في العراق ، غير أنهم فوجئوا في واقعة ذي قار التي أذهلتهم واسقطت حساباتهم .

لقد اعتمدنا في تحقيق المخطوط على عدد من المصادر التاريخية التي تناولت واقعة ذي قار ، والتي استعنا بها في توضيح بعض الغموض وحل بعض الاشكالات في سياق العرض التاريخي للمعلومات التي وردت في المخطوط ، كما أننا رجعنا الى عدد من كتب اللغة لتوضيح وتفسير بعض الكلمات وبعض الالفاظ العربية البليغة خاصة تلك التي وردت في الشعر .

ومما تجدر الاشارة اليه هو ورود بعض الاخطاء التاريخية في المخطوط خصوصاً الخطأ الذي كان يتكرر دائماً وهو اعتبار «دمشق» عاصمة لدولة المناذرة ، في حين أن الصواب هو «الحيرة» ، ويبدو أن هذا الخطأ التاريخي قد وقع من قبل الناسخ الذي لم يكن مطلعاً على تاريخ هذهِ الحُقبة من تاريخ العزاق . كما وردت اسماء بعض الشخصيات التي كان لها دور في الاحداث لم نجد لها ذكراً في المصادر التاريخية الاخرى ، وقد ثبتنا في الهوامش توضيحاً لمثل هذهِ الاشكالات ، . اضافة الى ورود عدد من الاخطاء اللغوية فيها .

وأرجو أن أكون قد وفقت في تحقيق هذا المخطوط ليجد له مكاناً في المكتبة العربية ، والله من وراء القصد .

الدكتـــــور

محمد جاسم حمادي المشهداني

بغداد المحروسة سنة ٢٤ / ١ ١٩٨٧م

٢٤/٥/١٤٠٧هـ

---

(١٣) د . جواد علي ، المرجع نفسه ، ٢٠٩/٣ — ٢١٠ .

وَصف نُسخ الكتاب الخطية

وصف نُسخ الكتاب الخطية[14]

لقد اعتمدتُ في تحقيق هذا الكتاب على عدة نسخ ، كان اهمها نسخة المتحف العراقي ذات الرقم (٢٧٨٧٠/٤ تأريخ) ، وعدد اوراقها (٩١ ورقة) ومسطرتها (٢٥) سطراً ، وفي كل سطر ما بين (٩ — ١٣) كلمة وخطها عادي ، وقد اعتبرنا هي الأصل الذي أُخذت عنه بقية النسخ الأخرى لقدم نسخها ، وصحّة معلوماتها ، ولذلك اعتمدناها النسخة الاولى للكتاب .

وتحمل النسخة عنوان «حرب بني شيبان» وجاء في آخر النسخة ، وهي آخر الورقة (٩١) من الأصل ما نصه «تم الكتاب بعون الله وحسن توفيقه سنة ١٢١١هـ» .

وتمتاز هذه النسخة بوضوح الخط ، وضبط الكلمات وخاصة ابيات الشعر ، اضافة الى كثرة الحواشي والتعليقات والشروحات التي كتبها أحد مالكي هذهِ النسخة ، أما النسخة الثانية ، فهي نسخة المتحف العراقي ذات الرقم (١٤٥٩٧/٤ تاريخ) ، وعدد اوراقها (٣٥ ورقة) ومسطرتها (٢١) سطراً ، وفي كل سطر ما بين (١٠ — ١٤) كلمة .

ومما يلاحظ أن النسخة جيدة الخط ، وقد أُشكلت كلماتها وكان ناسخها دقيقاً الى حدٍ ما ، وتكاد تكون هذهِ النسخة قد نسخت بدقة عن النسخة الاولى ، وتحملِ عنوان «خَبَرُ الحرقةِ إبنة النعمان واستجارتها ببني شيبان» وقد نسخت ببغداد في الرابع من رجب سنة ١٢١٣هـ ، أما النسخة الثالثة ، فهي نسخة ألمكتبة القادرية ذات الرقم (١١٩١) وعدد اوراقها (٤٩) ورقة ومسطرتها (١٩) سطر ، وفي كل سطر ما بين (١٠ — ١٥) كلمة وخطها نسخ معتاد . وتحمل عنوان «حرب بني شيبان مع كسرى أنوشروان حين اجاروا عليه حرقة إبنة النعمان بن المنذر بن ماء السماء ملك العرب» .

---

(١٤) انظر للمزيد من التفاصيل عن النسخ :
الدكتور عماد عبد السلام رؤوف ، الآثار الخطية في المكتبة القادرية ، ج ٤ (بغداد ، ١٩٨٠) ١٢٠ — ١٢١ ، كوركيس عواد ، مصادر التراث العسكري عند العرب ، المجلد الاول ، (بغداد ، ١٩٨١) ص ٢٢٨ ، اسامة النقشبندي ، وظمياء محمد عباس ، مخطوطات التاريخ والتراجم والسير (بغداد ، ١٩٨٢) ص ١٥٥ .

وجاء في أخر النسخة وهي الورقة (٤٩ أ) من الاصل ما نصه : «تم الكتاب بعون الله الملك الوهاب على يد الحقير الفقير المعترف بالذنب والتقصير على يد الحقير الفقير محمد أمين بن مصطفى في الثامن عشر من شهر رجب الاصم سنة ١٢٢٢هـ» .

ومما يلاحظ أن النسخة خطها عادي ، ويبدو أنها نسخت عن النسخة الاولى ، وفيها بعض الاوراق التي اصابتها الرطوبة لذلك كانت غير واضحة .

أما النسخة الرابعة ، فهي نسخة المتحف العراقي ذات الرقم (١١٣٢٧ تاريخ) وعدد أوراقها (١٢٥) ورقة ، ومسطرتها (١٩) سطر ، وفي كل سطر ما بين (٧ – ٩) كلمة .

ويلاحظ أن النسخة كتبت بخط نسخ رائع جداً وكان ناسخها دقيقاً في نسخه لها . ونكاد تكون هذه النسخة كبقية النسختين الثانية والثالثة قد نسخت عن الأصل .

وتحمل النسخة عنوان «حرب بني شيبان وكسرى من أجل أجارتهم للحرقة ابنة النعمان بن المنذر» ، وجاء في أخر النسخة وهي آخر الورقة (١٢٥) من الأصل ما نصه : «تم حرب بني شيبان بقلم الفقير الى الله عز شأنه عبد الرزاق الملا محمد الحاج فليح البغدادي في ٢٠ شوال سنة ١٣٥٥هـ» .

نماذج من نسخ الكتاب الخطية

بسم الله الرحمن الرحيم

حدثنا بشر بن مروان الأسدي حدثنا ذويب بن نافع التميمي قال كان النعمان بن المنذر بن ماء السماء ملكاً من ملوك لخم وكانت بيته موصولة بيد ذي الداهيتين كسرى وكان عسكر كسرى مائتي الف وكان النعمان بن المنذر على خدمته وبه استقوى ملكه وسلطانه وكان النعمان بن المنذر بن ماء السماء من المعمرين وكان عمره اربعمائة سنة وخمساً وتسعين سنة غير ما تقدم وكان النعمان بن المنذر بن ماء السماء اكرم ملوك لخم في سلطنته وكان كثير المواهب جزيل المطالب والرغائب يرفد الوفود ويؤلف الجنود عطاؤه جزل وفعاله معدل وقد ذكرته العرب باشعارها من الحيين قاطبة عدنان وقحطان وشهدت له بذلك ومنه قول شبيب بن عمرو اللخمي

اذا الملك اللخمي لم يعط المجدا فدع بعده ذكر الملوك الافاضل

لان ابن ماء المزن اوسعهم جدا

واسفرهم وجها لدى كل نائل

وقد ذكره مالك بن جعفر الكلابي فقال

اتاني عن النعمان افعال فاضل تعالى بها سمك الملوك وانجدا

فضائل كانت في ابيه وجده

فقد كان فيهم مطرقاً ثم مُتلِدا

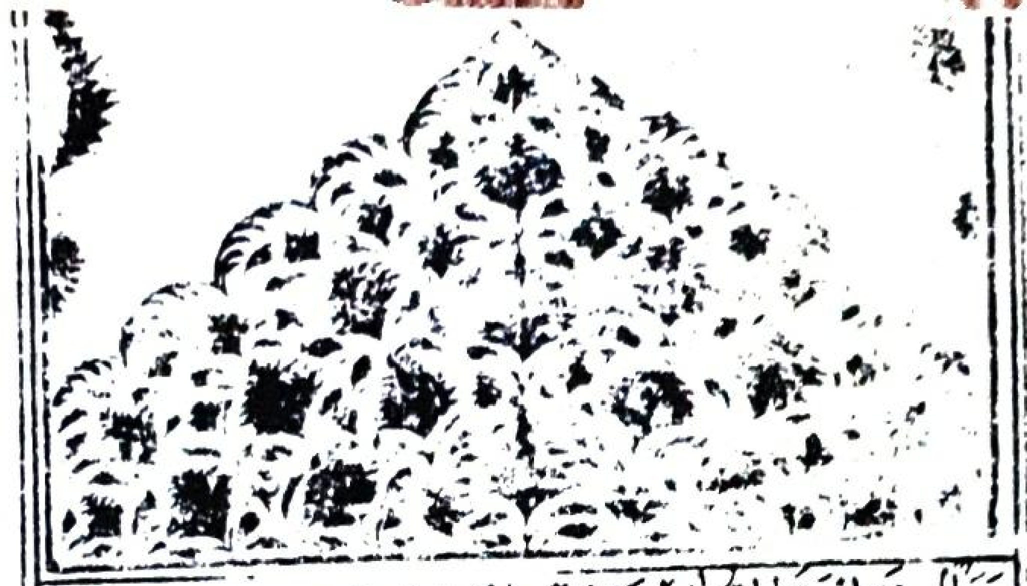
وله م

الورقة الاولى من نسخة المتحف العراقي ذات الرقم ٢٧٨٧٠/٤ تاريخ .

بالرواح ثم ان المنذر بن الريان استقام وملكه وقوي سلطانه
واتسعت احواله بدمشق وحشمه لا يشبه قبائله وبالعرب
حين كانت ورفعه عندهم ولحق اليهم فلم يزل كذلك حتى
توسم موسم عكاظ هو وشهاب بن نويرة وابو حدابة وعمرو بن
ثعلبة وواجهوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه
بعد بيعة النفر الاربعة فحصل بذلك سرورا كثيرا وايقن
بالنصر وفارقوه ولحقوا بقومهم قال صاحب الحديث
فتوفي شهاب بن نويرة وابن عمه ابو حدابة آخر عامهما ذلك
قال ومات عمرو بن ثعلبة في سنة الهجرة واما الملك المنذر
ابن الريان فانه ادرك الإسلام وهاجر الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وشهد يوم بدر
وقتل يوم احد بين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم مع
عمه حمزة بن عبد المطلب
رضي الله عنه
تم الكتاب بعون
الله وحسن
توفيقه

[illegible]

الورقة الاخيرة من نسخة المتحف العراقي ذات الرقم ٤/٢٧٨٧٠ تاريخ.



خبر الحرقة ابنة النعمان واستجارتها ببني شيبان

بسم الله الرحمن الرحيم

حدثنا بشر بن مروان الاسدي حدثنا ذويب بن نافع التميمي
قال كان النعمن بن المنذر بن ماء السماء ملكا من ملوك لخم
وكانت يده موصولة بيد ذي الداهيتين كسرى وكان عسكر كسرى
مائتي الف وكان النعمان بن المنذر على خدمته وبه استقوى ملكه
وسلطانه وكان النعمن بن المنذر بن ماء السماء من المعمرين وكان
عمره اربعماية سنة وخمسا وسبعين سنة غير ما تقدم وكان
النعمن بن المنذر بن ماء السماء اكرم ملوك لخم في سلطنته
وكان كثير المواهب جزيل المطالب والرغايب يرفد الوفود ويولف
الجنود عطاؤه جزل وفعاله عدل وقد ذكرته العرب
باشعارها من الحيين قاطبة عدنان وقحطان وشهدت له بذلك
ومنه قول شبيب بن عامر اللخمي

اذا الملك اللخمي لم نعف للجدا ٭ فدع بعده ذكر الملوك الافاضل
[illegible] ابن ماء المزن اوسعهم جدا ٭ وسنهم [illegible] اسكل نايا

وقد ذكره مالك ابن جعفر الكلابي فقال

اتاني عن النعمن افعال فاضل ٭ تعالى بها سمك الملوك وانجدا
فضايل كانت في ابيه وجده ٭ فقد كان فيهم مطرفا ثم متلدا
ولغيرهم اكثر من ذلك حدثنا ذويب بن نافع الحنفي وكان من رواة

عبد الله

الورقة الاولى من نسخة المتحف العراقي ذات الرقم ١٤٥٩٧/٤ تاريخ .

بني ماء السماء فشكروا له ذلك ثم ان الرجلين اسرجا خيولهم

وركبا معه في ثمانين الف فارس بالالة التي كانوا فيها بالحروب وقد خلوا به

وبعرسه الى دمشق فخرج جنود الملك كسرى والتقوا الملك المنذر بن

الريان بسيرو امعه فلم يجدوا اليه سبيلا وراوا خيولا غير خيولهم

وسلاحا غير سلاحهم فيها لهم ذلك فلما راوا مع الملك وتقدم

عمرو بن ثعلبة وشهاب بن نويرة وقومهم حتى ادخلوا المنذر بن الريان

داره وكان اراد تقديمهم فلزم شهاب على يد الملك المنذر بن الريان

وقال له ليس هذا اوان ذلك حتى تمكن في ملكك وتستقيم

في سلطانك قال فاذن لهم المنذر بن الريان بالرواح ثم ان

المنذر بن الريان استقام في ملكه وقوى سلطانه واتسعت

احواله بدمشق وحسنت ولايته بقبايله وبالعرب حيث كانت

ورفد وفودهم واحسن اليهم ولم يزل كذلك حتى توسم موسم عكاظ

هو وشهاب بن نويرة وابو حدابه وعمرو بن ثعلبة وواجهوا رسول

الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه بعد بيعة النفر الاربعة فسر

بذلك سرورا كثيرا وايقن بالنصر وفارقوه ولحقوا بقومهم

قال صاحب الحديث فثوى شهاب بن نويرة وابن عمه ابو حدابه

آخر عامهما ذلك قال ومات عمرو بن ثعلبة في سنة الهجرة

واما الملك المنذر بن الريان فانه ادرك الاسلام وهاجر

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد يوم بدر وقتل يوم احد

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

الورقة الاخيرة من نسخة المتحف العراقي ذات الرقم ٤/١٤٥٩٧ تاريخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال صاحب الكتاب حدثنا بشر بن مروان الاسدي حدثنا ذويب بن نافع التميمي قال كان النعمان بن المنذر بن ماء السماء ملكا من ملوك لخم وكانت يده موصولة بيد ذي الداهيتين كسرى وكان عسكر كسرى مايتين الف وكان النعمان بن المنذر على حذ منه وبه استقوى ملكه وسلطانه وكان النعمان بن المنذر بن ماء السماء من المعمرين وكان عمره اربعمايه سنه وخمسا وتسعين سنة غير ما تقدم وكان النعمان بن المنذر بن ماء السماء اكرم ملوك لخم في سلطنته وكان كثير المواهب جزيل المطالب والرغائب يرفد الوفود ويتولى الجنود عطائه جزل وفعاله عدل وقد ذكرته العرب باشعارها من الحيين قاطبة عدنان وقحطان وشهدت له بذلك ومنه قول شبيب بن عامر اللخمي

اذا الملك اللخمي لم يعف للجدى • فنح بعده ذكر الملوك الافاضل

لان ابن ماء المزن اوسعهم جدى • واسفرهم وجها لدى كل نايل

وقد ذكره مالك بن جعفر الكلابي فقال

اتاني عن النعمان افعال فاضل • تعالى بها سمك الملوك واجلاله

فضائل كانت في ابيه وجده • فقد كان فيهم مطرفا ثم متلداه

ولغيرهم اكثر من ذلك حدثنا ذويب بن نافع الحنيفي وكان من رواة محمد عبد الواحد بن الياسي التميمي قال وكان النعمان اذ ولج كثيرة من العرب واليهود والفرس وكانوا اخص ما يكون عنده الحمانة ابنة زهير بن جذيمة العبسيه

الورقة الاولى من نسخة المكتبة القادرية ذات الرقم (١١٩١).



الملك المنذر بن الريان فانه ادرك الاسلام وهاجر الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وشهد يوم بدر وقتل يوم احد بين يدى رسول الله صلى الله عليه
وسلم مع [illegible] المطلب رضى الله عنه تم الكتاب بعون الله الملك
الوهاب على يد الحقير الفقير المعترف بالذنب والتقصير على
[illegible] الفقير محمد امين بن مصطفى في شهر
رجب الاصم في [illegible] ١٢٢٩ [illegible]
[illegible] والحمد لله رب
العالمين

الورقة الاخيرة من نسخة المكتبة القادرية ذات الرقم (١١٩١).

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

حدثنا بشر بن مروان الأسدي حدثنا ذؤيب بن (١)
نافع التميمي قال: كان النعمان بن المنذر بن ماء السماء
ملكا من ملوك لخم (٢) وكانت يده موصولة بيد ذي الداهيتين
كسرى وكان عسكر كسرى مائتي الف وكان النعمان
ابن المنذر على خدمته وبه استقوا ملكه وسلطانه. وكان
النعمان بن المنذر بن ماء السماء من المعمرين وكان عمره
اربعمائة سنة وخمسا وتسعين سنة غير ما تقدم. وكان
النعمان بن المنذر بن ماء السماء اكرم ملوك لخم في سلطنته
وكان كثير المواهب، جزيل العطايا والرغائب يرفد الرفود

الورقة الاولى من نسخة المتحف العراقي ذات الرقم ١١٣٢٧ .

حرب بني شيبان مع كسرى
انوشروان

رواية
بشر بن مروان الأسدي

بسم الله الرّحمن الرَّحيم

حَدَّثنا بْشُر بن مَرْوان الأسديّ ، حَدَّثنا ذُوَيب بنُ نافع التَّميمي قال : كان النُعْمانُ بن المنذر بن مآء السّما[١٥] ملكاً من ملوك لَخم[١٦] ، وكانت يَدُهُ موصولةً بيدِ الدّاهيَتَين كِسْرى[١٧] ، وكان عسكرُ كِسْرى مائتي الف ، وكان النعمان بن المنذر بن ماء السماء ، على خدمته و به أستقوى مُلكُه وسلَطانه وكان النّعمان بن المنذر بن ماء السماء من المُعَمَّرين وكان عُمْرُه أربعمائة سنة وخمساً وتسعين سنة غير ماتقدم[١٨] ، وكان النعمان بن المنذر بن ماء السماء اكرم ملوك لخم في سلطنته وكان كثيرَ المواهب جزيلَ المطالب والرغائب يُرْفِدُ الوُفُود ويُؤَلِفُ الجنودَ عَطاؤه جزْل ، وفعالُهُ عدل ، وقَد ذَكَرَتْه العربُ بأشْعارها من الحيّين قاطبة عدنان وقحطان[١٩] وشهدَتْ لَهُ بذلك ، ومنه قول شبيب بن عامر اللخميّ .

إذ المَلِكُ أَللخْميُ لم يُعف للجدا ... فَدَعْ بعدهُ ذِكر ألملوك الأفاضِلِ

لأنّ ابْنَ ماء المزْن إوْسَعُهُمْ جداً ... وأسفرهم وجهاً لدى كلّ نائِلِ

---

(١٥) هو النعمان بن المنذر بن عمر وبن المُنْذر بن الأسود بن النعمان بن المنذر بن امريء القيس بن النعمان بن امريء القيس بن عمرو بن عدي بن نصرين ربيعة «ابن حزم ، جهرة انساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة ، ١٩٧٧) ٤٢٢ - ٤٢٣» .

(١٦) هم بنو نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن مسعود بن مالك بن عمم بن نمارة بن لخم ، رهط ال المنذر ملوك الحيرة (ابن حزم ، المصدر نفسه) ، ٤٢٣ وأمهم ماء السماء امرأة من النمر بن قاسط (انظر ابن الاثير الكامل في التاريخ ج ١ (بيروت ، ١٩٨٠) ص ٢٤٠

(١٧) هو كسرى ابرويز بن كسرى هرمز بن كسرى انوشروان بن قباذبن فيروز بن يزدجرد ، بن بهرام جور بن يزدجرد الاثيم (انظر ابن الاثير ، المصدر نفسه ٢٥٥/١ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠) .

(١٨) هذه مسألة مبالغ فيها ، اما الصواب فانه حكم اثنتين وعشرين سنة من ذلك في زمان هرمز سبع سنين وثمانية اشهر ، وفي زمان ابنه ابرويزا أربع عشرة سنة ، واربعة شهور (ابن الاثير ، المصدر نفسه ٢٩٢/١) .

(١٩) ان جميع القبائل العربية ترجع الى ثلاثة اصول ، هم عدنان وقحطان وقضاعة (انظر ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص ٧) .

وقد ذكره مالك بن جعفر الكلابي فقال :

اتاني عن النعمان افعال فاضل تعالى بها سمت[20] الملوك وأنجدا
فضائل كانت في أبيه وجده فقد كان فيهم مطرفاً ثم متلدا

ولغيرهم اكثر من ذلك ، حدثنا ذؤيب بن نافع الحنفي[21] ، كان من رواة عبد الواحد بن الياس التميمي[22] قال ، وكان للنعمان ازواج كثيرة من العرب[23] واليهود والفرس ، وكان أخصّ من تكون عنده الجمانة ابنة زهير بن جُذيمة العبسية لمكان أبيها وشرفه في قومه ، وكان أحب نسائه المتجردة اليهودية لحسن التبعل لزوجها ولحسنها وجمالها ، وكان كثير الانقطاع في حبّها وقد ذكرها النابغة الذبياني[24] في شعره فقال :

لو أنها[25] عرضت لأشمط راهب عبد الآله ضرورة[26] متعبد
لصبا[27] لبهجتها وحسن حديثها ولخاله رشداً وان لم يرشد
تسع البلاد إذا أتيتك زائراً وإذا هجرتك ضاق عني مرقدي

حدثنا رُواة هذه السيرة ان الحرقة[28] سمّتها امها المتجردة بذلك وانها اقامت عند النعمان لا

---

(20) السمت : اي الطريق والمحجة . وتستعمل لهيئة اهل الخير .

(21) لم اقف على ترجمته

(22) لم اقف على ترجمته

(23) من نسائه العربيات : زينب بنت اوس بن حارثة ، وفرعة بنت سعد بن حارثة بن لام ، وقد ولدت له ولداً وبنتاً ، وكانت عنده لما طلبه كسرى ، ومارية الكندية ، وهي ام هند التي تزوجها عدي بن زيد (انظر ، ابو الفرج الاصفهاني ، كتاب الاغاني ، ج ١ (طبعة دار الكتب المصرية) ص ١١٩) .

(24) النابغة الذبياني : هو زياد بن معاوية ، ويكنى ابا أمامة ، واهل الحجاز يفضلونه ، وكان يدخل على النعمان ويمدحه ، ويجزل له العطاء (انظر ابن قتيبة ، الشعر والشعراء (قسطنطينة ، ١٢٨٢ هـ) ٢٠ - ٢٣ ، والمسعودي ، مروج الذهب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ج ٢ (القاهرة ، ١٩٦٤) ٩٩ - ١٠٠ .

(25) وردت في الاصل (لراتها) والتصحيح من كتاب ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ص ٢٣ .

(26) الصرورة : الشخص الذي لم يتزوج .

(27) ووردت «لرنا» في كتاب «الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ص ٢٣)

(28) الحرقة هي ابنة النعمان بن المنذر ، وكانت إذا خرجت الى بيعتها يفرش لها طريقها بالحرير والديباج ، مغشى بالخز والوشي ، ثم تقبل في جواريها حتى تصل الى بيعتها ، وترجع الى منزلها ، فلما هلك النعمان ، نكبها الزمان ، فانزلها من الرفعة الى الذلة ، ولما وفد سعد بن ابي وقاص (رض) القادسية اميراً عليها فانه اكرمها واحسن اليها «انظر المسعودي ، مروج الذهب» ١٠٢/٢ - ١٠٤ .

تحمل وقتاً من زمانها ثم حملت له بالحرَقة ولاخلاف بين العلماء الثلاثة في ذلك ان المتجردة كانت عقيماً ، وانها ما جاءت بفاحشةٍ ابداً وانما رَوي في ذلك قوم آخرون ليسوا من رواة هذهِ السيرة ، ولا مَعْرُوفين بالأثر ، وكلّ مَن لايَروى السيرةَ ولا يُسْنِدُ الى العلماء الثلاثة وهم أحَطَب بن يوشع وسعيد بن ربيعة ، وعبد الواحد بن الياس التميمي ، غير عارف مخطئٌ والذين رموا المتجردة بالشاعر المنخل[٢٩] قوم مبتدعون مزوّرون جاهلون وهم الذين جعلوا أن الَحرَقَةَ ليست للنعمان إبن المنذر ، وانما هَي للمنخل سفاحاً ، وقوم آخرون جاهلون يقولون ، ان الحرقة للجُمانة ابنة زهير ، والجُمانَة كانت عقيماً معروفة بذلك والقول الصادق والدليل الواضح انها لو كانت للجمانة لأجارتها مُضر[٣٠] واجمعت معها ربيعة[٣١] حدثنا رواة هذه السيرة إنها سمَّتها امّها المتجردّة باسم امّها الحرقة[٣٢] ، وهو اسم مشهور في نسآء اليهود وانها نشأت اكرم منشأ بنات الملوك في صورة أمّها وحُسنها وجَمالها لم تأخذ من صفات أبيها شيئاً فبلغ الى كسرى ما فيها من الجَمال والحُسنْ والكمال ثم أثنى المخبرُونَ على أمّها بما فيها من الحُسْن والتَّبَعُل لزوجها فأشتاق الملك الى تزوّجها أشَدَّ الاشتياق فوجَّهَ الى النعمان ان يصل اليه فوَصَل وهو لا يَعْلَمُ ما في قلبه ، فلما قدم على المَلك استأذَنَ عليه بالدّخول فاذن له وأستقبله المَلكُ باحسنِ القَبُول وجَلسَ بين يديه ساعة مليّة ثم أمَرَ به الى منزل ضيافته فَقِدم اليه فأقام فيه شهراً وهو يُصبِحُ على الملك ويمسي ، ولم يخاطَبهُ بشيئ ولاَعلِمَ بحاجةِ كَسْرى فلمّا راى ذلك كَبُرتْ حيلتُهُ وعَميَتْ بصيرَتهُ ولم تكن تلك عادته فلما كان بعد تمام الشهر خطب ترجمانُ الملك[٣٣] الى النعمان ابنته الحرقة فَعَظُم عليه الامرُ[٣٤] وقال لا اَعْصي المَلِكُ بل أنا طَوْعُ يده ، قيل له اشترِطْ

---

(٢٩) هو مالك بن عمرو بن غنم بن سويد بن حنش من خناعة بن لحيان اليشكري ، وكان ينادم النعمان وينشده القصائد ، وكان النعمان يكرمه ويقربه اليه ، ثم مالبث ان سجنه «انظر ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ١٥٦ ، و د. جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٣/٢٨٢) .

(٣٠) مضر : هي قبيلة مضر العربية ، نسبة الى مضر بن نزار بن معد بن عدنان «ابن حزم ، الجمهرة ص ١٠)

(٣١) ربيعة : هي قبيلة ربيعة العربية نسبة الى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان (ابن حزم ، الجمهرة ١٠)

(٣٢) المعنى اللغوي لكلمة الحرقة : اي الحرارة .

(٣٣) هو عديّ بن زيد العباديّ ، الذي كان من تراجمة أبرويز كسرى بن هرمز (الطبري ، تاريخ ١/١٩٣) وكان حاقداً على النعمان لانه قتل اباه .

(٣٤) وكان النعمان قد غضب غضبا شديداً ، فعاد رسول كسرى اليه فقال للرسول عن قول النعمان فقال ، قال ايها الملك : أما في بقر السواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا . . .) (الطبري ، نفسه ١/٢٠٤) .

وخُذِ الرُّسلَ و الحمائِل لتزَّف اليه الحرقة ، قال النعمان للملك عليَّ من الايادي والمنن ما لا احْوَجَهُ الى شيْ من ذلِك فإذا صارت عنده فَهوَ أولى باصلاح شأنها فشكر الملك له ذلك فودعه النّعمان وانصرفَ ومعه هَمٌّ وغَمٌّ لا يقدِر يدفعه فلما صارَ في بعض الطريق انشأ يقول :

أتــتني امورٌ لاُتُـطــاقُ عــظـيــمــةٌ	وأصْـبح لي كسَـرى عـليها مـنـاويًا
فـأنْ آتِ محبوبَ الاعـاجـم طـائـعـاً	تـكـن سُبَّة في لخم تُبكي البـواكـيا
وأنِ رُمْتُ أنـــبو لم تَسَـــعْني عـــزيمتي	نـعم وحـلـبت الآن فـيـنـا الـدواهـيا
فلا يَـعـربٌ أدعُو لـهُـا فـتـجـيبني	الى جـنـد كسرى يـكـشـفـون عـنـائيا
فـياليت شعري كـيف في ذاك حـيلتي	اذا كـنـت لأ أرجـو لـديـه المواليـا
الا لـيـت اسبـاب المنّيــة عِـقْـنني	وغـطـيـنني تسني عـلىَّ السوافـيـا
ولم اضـح في اعـراضِ كسرى بمثـلـهـا	ويـغـدو الـيـنـا مصـبـحـاً وممـاسيا

حَدثنا رواة هذهِ السّيرة ان النعمان بن المنذر بن ماء السماء لحق بمدينة الحيرة[٣٥] حيث دارهُ وقرارهُ ومُلكُه ثم جَمع بني ماء السمآء فأعلمهم بالأمر الذي هو عليه فلم يهتدوا لمثل هذا جواباً ولا طاقة لهم بامتناع كسرى ولا يستطيعون ان يُزوجوه ولاَتَقَّدمَهَم أحدٌ من العرب بتزويج العجم ، ولو كان ذلك موجوداً لتأسَّوْا به وأتخذوا به يَداً عنده فَعَذرهُم النعمان على انِقِطاعهم وعِلم ما بهم وما هَالَهم فعند ذلك ذكر في نفسه ثم أضمر على رأى واعلمهم به قال تستجير الحرقة في احياء العرب من قومنا قحطان[٣٦] وفي اصْهارنا عدنان[٣٧] ونثبت على ملكنا ، وأجنّد الجنود وأنفق الاموال فان تاركنا تاركناه وان سير

(٣٥) وردت في الاصل (دمشق) وهذا خطأ كبير لان مصادر التاريخ تجمع على ان عاصمة دولة المنافرة هي الحيرة في العراق وليست دمشق في الشام ، واكد الطبري ان النعمان قد أجتمع بالحيرة (تاريخ ٢٠٢/١) ، والحيرة مدينة تبعد ثلاثة اميال عن الكوفة على النجف وسماها النعمان بن المنذر واباؤه بالحيرة البيضاء لحسنها وجمالها (انظر البغدادي ، مراصد الاطلاع ٤٤١/١) .

(٣٦) قحطان : قيل هو قحطان من ولد سام بن نوح – والله اعلم وينتسب اليه القحطانية (انظر ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ٧)

(٣٧) عدنان : وهو عدنان بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل (ع) وينتسب اليه العدنانية (ابن حزم نفس المصدر ، ٧) .

الينا جنداً قاتلناه قالوا : أيها الملك فإذا عزمت على ذلك فلا تُغرّب ابنتك ولا تخرجها الى حيّ من العرب حتى يستدبر امر الملك وما يكون من عواقبه فأتفقوا على الرأي ، قال : وان النعمان بن المنذر جنّد الجنود[٣٨] وانفق الاموال ، وبعث الى كسرى يعتذر فغضب عليه كسرى وسيَّر اليه مائة الف فيهم الطميح بن عبيد بن سويد الايادي ، وكانت اياد[٣٩] مندرجة في خدمة العجم من قديم الزّمان ، فسارَ الطميح بمن معه ، وبلغ النعمان علم مسيره فجمّع ولقيه في حدود العجم في عسكر ضخم فالتقى القوم واقتتلوا قتالاً شديداً ، وكان عسكر النعمان لفيفاً من الفاف العرب فانهزمُوا وخلوا عنه وعن رهطه لخم ، وثبتت خاصّته ، ولم تولي دُبراً فقتل رهطه واستؤسر هو في جماعة من قومه ملوك لخم منهم عمرو بن الرّيان واشباهه[٤٠] قال : وان الهزيم دخل مدينةَ الحيرة[٤١] فاضطربت المدينة فمن استطاع من آخر ساعته ووقته ان يهرب هرب ، ونجا ومن تأخر أُخذ ، قال وان نساء الملك امرن بالشدّ فركبن وخرجن من اخر ساعتهّن ولحقت كل واحدة بقومها . قال : وكانت المتجردة[٤٢] قد ماتت يومئذٍ فخرجت الحرقة[٤٣] الى العرب . حدّثنا رواة هذا الحديث انّ الطميح بن عبيد بن سويد الايادي بعد انفضاض عساكر النعمان واسره هو وجماعته ، وبعد قتل من قتل منهم توجّه الى مدينة الحيرة[٤٤] فدخلها بمن معه فاصابوا من الغنائم فيها ما لا يصفه الواصفون ومن السبايا الكثيرة الاخر ، واما النعمان بن المنذرفأنه أسر[٤٥] ،

---

(٣٨) قال الطبري : (وجعل النعمان يستعد ويتوقع . . (تاريخ ٢٠٥/١) .

(٣٩) اياد : هو اياد بن نزار بن معد بن عدنان (ابن حزم ، الجمهرة/١٠)

(٤٠) لم تذكر المصادر التاريخية اي قتال وقع بين النعمان وجند كسرى ، وانما ذهب النعمان الى القبائل العربية ، ليعرف مدى استعدادهم للقتال معه ، فاعلن بنو عبس موافقتهم على القتال معه ، ولكنه قال لهم : لا أحب ان أهلككمُ فانه لا طاقة لكم بكسرى فاقبل حتى نزل بذي قارفي بني شيبان سراً ، فلقى هانئ بن مسعود . . الشيباني وكان سيّداً منيعاً . . وعلم ان هانئا مانعه مما يمنع منه نفسه ، وتوجه النعمان الى كسرى . . فلما بلغ كسرى انه بالباب بعث اليه ، فقيدّه وبعث به الى خانقين ، فلم يزل في السجن . . حتى مات . . وانما هلك بخانقين وهذا قبيل الاسلام ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى بعث الله نبّيه صلى الله عليه وسلم ، وكان سبب وقعة ذيقار بسبب النعمان «انظر الطبري ، تاريخ ٢٠٥/١ وما بعدها» .

(٤١) وردت في الأصل «دمشق» .

(٤٢) المتجردة : هي زوجة النعمان

(٤٣) الحرقة : هي ابنة النعمان كما ورد سابقاً

(٤٤) وردت : في الاصل دمشق .

(٤٥) وردت في الاصل (افلت)

قال الطميح للنعمان هل لك ان تعطف على نفسك وتستديم ملكك وتامر باحضار ابنتك فانه يرض عنك الملك وانه سيعطف عليك وأنا الضّامن لك بذلك ، قال النعمان كَلا بَل ذَهابُ نفسي مع زوال ملكي أهّون عليَّ من ان أبْتَدِع تزويج العجم في العرب ، ثم انشأ يقول :

لـعـمـرك ان الموتَ والـقبرو والـبِلى ... لاهُونَ من ركب الامور الـفوادحِ

وهـلْ لـلفتى عيش ونلعيش بَهجةٌ ... اذا كـان ذاثوب من الـعـار فاضحِ

ابى الله إلاّ انـكـم آل مُـنـذرٍ ... تـعافونَ عمرى فاحشات القبائحِ

ولو لم يـكن لـلفرس حولي مجمعٌ ... لما كـنت مـأسوراً بـقـدِّ الشرائحِ

فصبراً جـميلاً يـا ابن منـذر عـلّـه ... يـفـيد نجاحاً من جـميع الفضائح

قال : حدثنا رواة هذه السيرة ان الطميح بن عبيد اقام بمدينة الحيرة[٤٦] وارسل الى الملك كسرى بالاسارى وفيهم النعمان بن المنذر ويعلمه ايستقر بمدينة الحيرة[٤٧] ام ياؤوبَ اليه فلما جاء رسول الطميح بالاخبار المبشرة بالظفر وبالقوم الأسارى يعث الملك الى الطميح يقول له تأمر بصوائح تصيح ، في ديار العرب من أجار الحرَقَةَ او آواها فليستعد لجنود كسرى وتبرأ الذّمّةَ ممّن اجارها . قال : فأمر الطّمح بصوائح في العرب ، قال : وان كسرى أمر بالاسارى وفيهم النّعمان بن المنذر فسجنوا ، ولم يزالوا في السجن حتّى ماتوا جميعاً وقد ذكرت العرب ذلك في اشعارها فمن ذلك قول شبيب بن عامر اللخمي يقول :

ألاَ لن يـلذَّ العيش من بعد منذر ... ونـعمان املاك الافاضل يـعربِ

مـلوك هـم الصّيصّ في لخم كـلّـها ... وهـم شرف الـعلـيا في كل منصب

ثـووا في بلاد العجم بـالسّجن بعدما ... بـنَوْا لِـقـرارِ المجد في كِل عزّ مرتبِ

وَمـدَّ انو شروان كسرى بخيـلـهـم ... الى عـفـوة من مشرب مـتـقصب

وقال في ذلك رُزام بن حنظلة الجعدي :

---

(٤٦) وردت في الاصل (دمشق)

(٤٧) وردت في الاصل (دمشق)

تولت ليالي آل منذر بعدما ثووا بالحيرة[48] أعصراً وزمانا
وكانوا يفيدون العفاة نوالهم وقد منحوا أهل الزمان أمانا
فغادرهم في السّجن كسرى ببغيه وقلّدهم بعدَ العلو هَوانَا
فلا يأمن الدنيا جهولٌ فانني ارى ناصح الدنيا الغداة مُهانَا

قال : حدثني رواة هذه السيرة انه لما صاح صائح كسرى في ديار العرب وقفوا وتابَوا جوار الحرَقَة وعظم فزع الحرَقَة وخوفها وحثَّ الطميح في طلبها وكثر نفيرها فأوّل من طلبت الاجارة ملوك جفنة[49] من غسان فاعتذروا ثم دارت في قبائل طي ، وفي قبائل قحطان قبيلة بعد قبيلة فلم يجرها أحد ، وفي قبائل مضر وربيعة فلم يجرها أحد فعظم ذلك الامر عليها ولم تسعها الارض بل ضاقت بها لشأن الطلّب ، وقلّة الامتناع ثم انها أَوَتْ ليلة الى حرم ثعلبة الشيباني وهو ابو الحجيجة ، حجيجة وائل[50] فأناخت بعيرها وحلّت انساعه وضربت بطنه ليَسرى حيث شاء ، وقد قلَّ أمنها من الطواف على العرب ، وأيقنت بالاغتصاب والأخذ ولا سألت عن شيئ فبصر بها بعض الرعاة[51] فجلب لها لبناً ، وجاء فوضعه بين يديها ، ثم ولىّ عنها فلم تعبأ به ، ولم تقم اليه فجاء كلب فشربه فلم تسأل عنه ، واذا بالرّاعي والكلب على اللبَن يشربه وهي تنظر اليه فزجره وقال ما للكلب يشرب لبناً خليتَهُ لك عشاً وانت تنظريه ، قالت أدبر كَمَا أقبلتَ قد صارت في زمانَنَا هذا أغضب وأحمى من العرب اذ كانت تجير وتحمي من يأوي الى مَرابَطها ، والعرب لا تحمي ولا تحوط من يأوي اليها وتستغيث بها ثم أنشأت تقول :

لم يبق في كل القبائل مطمعٌ لي في الجوار فقتل نفسي اعودُ
ما كنت احسبُ والحوادثُ جَمةٌ اني اموتُ ولم تعدي العُوَّدُ
حتى رأيتُ على جراية مولدي ملكاً يزول وشمله يتبدّدُ

(٤٨) وردت في الأصل «بدمشق» .

(٤٩) جفنة : هم البطن الثاني من الازد ، وكان لهم مُلك بالشام ، وأول من ملك منهم جفنة بن عمرو بن ثعلبة بن عمرو مزيقيا «القلقشندي» ، قلائد الجمان ، (القاهرة ،١٩٦٣) . ص ٩٤ .

(٥٠) وردت في الأصل «الرعيان» .

(٥١) هي صفية بنت ثعلبة الشيباني الملقبة بالحجيجة .

فـدهـيتُ بـالـنـعمان اعـظـم دِهـيـةٍ ورجعت من بعد السَّمَيدع[٥٢] أطرَدُ
وغشـيـتُ كـل الـعـرب حتى لم أجـد ذا مِـرّة حسن الحفـيـظـة توجَـدُ
ورجـعـت في اضمار نـفسي كي أمُتْ عـطشـاً وجوعـاً حَـرَّهُ يـتوقَّـدُ
موتي بُـعـيد ابـيكِ كـيف حيـاتـنـا والموتُ فـهـو لـكـلّ حيّ مَـرَصَـدُ
يـا نـفس موتي حسرةً واستـيـقني سيضم جسـمك بـعـد ذاك الألحد
خابَ الـرّجـا ذهب الـعـزّ أفِلَ الوفا لا السـهـل سهـل ولا نجودي أنجدُ
جـمـدت عـيون الـنّـاس من جيرانها وقـلـوبهم صـمٌ صلادُ جَـلْـمَـدُ
لا يـرحـمـون يـتـيـمـة محزونـةً مـقـتولـة الآبـاء نِضواً تـطـرَدُ
تـبـغي الجوار فلا تُـجـار وقـبـل ذا كـان المنـادي لـلـجوار يسوّد
فـالموتُ فـيـه فـرجـة فـتـأبـدي لـيسَ المفـزّع قـلـبـه يـتـأيّـدُ
أفّ لـلـدهـرِ لا يـدومُ سُروره ولخصب عـيش غضـه يـتـنـكـدُ
مـا الـدهـر الا مـثـل نـبت ذابـلٍ وبـدور شمس فـارقتهـا الاسعـدُ
وصروف هـذا الـدهـر اعـظـم مطلبـاً للأعـظـمين هلاكـهـم يـتـودّدُ
أفـهـلْ رأيتم اسفلاً يُـفـنى كما تُـفنى الأعـالي الا سمحون السُّوددُ
لا مـا اظنُّ ولـلـزمـان بـقـيـة ولـوضـع قوم في الـدُّنـا لا يُـنْـجَـدُ
قومي تهيَّئْ لـلـملمات فـأنّـه أولى بـذي حَـزَنٍ وهـو لا يُـسـعَـدُ

حدثنا رواة هذه السيرة ان الرّاعي لما سمع الشعر وعاه فرثى لها من قبل معرفته لها ثم دنا منها فأستكشفها عن خبرها فأوضحت له أمرها فقال لها أبشري بزوال هَمّك عنك وانصرف عنها الى الحجيجة صفية ابنة ثعلبة الشيباني وهي حجيجة وائل ، والحجيجان من نساء العرب خمس لا غير ، وهي واحدة من الحجيجات فأنشدها شعر الحُرقة وأخبرها بخبرها قالت قد سمعت لصوائح الملك وما كنت ارى أنها تقطع العرب عن عوائدها لشأن الجار ، يا غلام خذ قناعي هذا فأتني بها حتى نواسيها بأنفسنا فأما سلامة عالية الفخر ، وامّا ندامة باقية الذكر فمضى الراعي بالقناع مسروراً لها به وبالفرج الذي وقع لها على يديه فأسلم اليها القناع وقال اجيبي الحجيجة فقالت كنت أسمع بشرف الحجيجات أفرسلتك

(٥٢) السمَيْدَع بفتح السين : هو السيّد الموطأ الاكناف .

هذه صاحبة القناع منهنّ قال نعم فنهضت وكان يسير أمامها وهي من خلفه حتى جمع بينهما في خلوة فاستقبلتها صفية وهي ايضاً شمسية لضيائها واشراقها ، وأمّا الأسم الذي سميّت به فصفية فرفقت بها حتى تنفّست وذهب روعها ثم قالت لها يا ابنة الملك نامي وقريّ عيناً فقَومي الى أوفى العرب ذمّة وأعلاهم همّة ، غير ان هذا الملك هو ذُووا الداهيتين[٥٣] وما صدمنا احداً الا أفنيناه غير أني ارجو لقومي عاقبة الصبر ولن تموتي بعد هذا وحدك الاّ مع نفوس كثيرة ذكرانا واناثاً وإلا حَييتِ معها فشكرت لها بذلك ، والحيّ من قومها لا يشعرون بذلك ، الى ان كان الصّباح ، فقامت صفيّة فركبت جملاً لأبيها وشدّت عليه بمسامة وكانت لا تفعل ذلك الاّ في شديدة ام معضل أمرٍ فلما رآها قومها انكروا منها ومن فعلها وكانت ايّام هدنة وأمَان وعَافية فصاروا مفكرّين في أمرها فلما دنت من نادى قومها استقبلوها وقالوا لها ما وراءك قالت الحرقة قد اجرتها على ذي الداهيتين وهي في بيتي ثم أنشأت تقول :

احيو الجيار فقد اماتته معا ... كلّ الاعَارب يا بني شيبانِ
ما العذر قد لفّت ثيابي حُرَّةٌ ... مغروسةٌ في الدرّ والمرجان
بنت الملوك ذوي الممالك والعَلى ... ذات الحجال وصفوة النعمان
اتهافتون وتشحذون سيوفكم ... وتقوّمون ذوابل السمُرّانِ
وتسوّمون جيادكم يا معشري ... وتجدّدون خضبةَ الأبدانِ
وعلى الأكاسر أجَرتُ لحرّة ... بكهول معشرنا مع الشُّبانِ
شيبَان قومي هل قبيل مثلهم ... عند الكِفاح وكرّة الفُرسانِ
لا والذوائب من فروع ربيعةٍ ... ما مثلهم في نائِب الحدثانِ
قوم يجيرون اللهيف من العدا ... ويحاط عمري من صروف زماني
ترد الهَياج بنو أبي لا تتقى ... مسطا العدوّ وصولة الاقرانِ
اني حجيجة وائِلٌ وبوائل ... ينجو الطريد بشطبة وحصان
يا آل شيبان ظفرتم في الدُّنا ... بالفخر والمعروف والاحسان

[٥٣] تقصد بذلك كسرى آنو شروان الذي كان يلقب بذي الداهيتين .

فلما سمعوا شعرها نظر بعضهم الى بعض وقالوا هل لكم من طاقة دون العرب بذي الداهيتين قالت قد وَقعْتم فاصبروا ودخلْتم الماء فشمِّروا . وحدثنا رواة هذه السيرة ان القوم افترقوا في اصلاح شأنهم وافتقاد عُدَدِهم . والاستعداد للبلاء الثقيل فأقاموا على ذلك اياماً والطُمَيح يبحث عن الحرقة وعِندَ من هي ويبذل على ذلك الأموال حتى صَحَّ له انها عند اشراف ربيعة بني شيبان فتحيَّر في أمره وكره مُعاتبْة الملك فيُسيرَ اليهم المائة الثانية . وكان الطميح شريف اياد وشجاعها في زمانه وكان كثير الأنَفَة والعصبية فبعث الى بني شيبان رجلاً من خاصته يقول لا يُهلِكونا ولا أنفسهم فلا طاقة لنا ولهم بكسرى يُخرِجوا عنهم هذه الجارية الى قبائل العرب فردوا عليه انها جارة الحجيجة ولا طاقة لنا فاصنع ما أنت صانع فلما جاءه رسولهم بذلك ازدادَ غَماً الى غمّه لشأن الحِرقَة وتحشمه من قومه ان يجاهرهم بالفتنة ويَقصدهم بالجنود . قال وكان معه رجال من غسّان مناصحون للملك وحريمهم عنده وقد احسن اليهم احساناً كثيراً فهم لا يستطيعون خيانته وكانوا رُقباءَ عليه فلمّا علموا بمكان الحرقة عند بني شيبان قالوا للطميح ما تنتظر بعد إذ ندبك كسرى وجَعَلَكَ قائد جنوده وقد نَصحْنا الملك في ملوكنا فأنصح الآن له في قومك ، والاّ بعثنا اليه من يُعلمه فقد علمت ما لك علينا من الطاعة وما له علينا من النصيحة قال الطميح غادٍ أنا أتصحح الأخبار عنها ثم أتيّ في ذلك مَخبُوئكمُ فرضوا منه بذلك ثم بعث الى بني شيبان من يُعلمهم بمصانعة القوم من غسّان ويستشيرهم في امرهم قالوا للرسول يخرجهم الينا فيمن اختاروا ان يسيروا فيه فلما جاءت رسلهم بذلك أمر الطميح رجلاً يذهب الى بعد الوادي ويأته بأخبار يقوم فيها صلاح أمر بني شيبان فجاء الرسُول يقول ان العرب قد جمعت جمعاً يريدون ان يقصدوا الحيرة[٥٤] فعند ذلك جمع الطميح وعرض جند الملك وهم مائة ألف الذين كانوا معه بالحيرة[٥٥] وأشعرهم الخبر الذي أتاه ، وقال لا ادري ما يصّح منه وما لا يَصحّ وانا اخرج الى بني شيبان فمن كان منكم يريد صنيعة الملك والنصيحة له أخرجت معه من اختار من جند الملك . قال له الغسانيّون نحن لهم فأخرج معنا من اردت . قال بل تخرجون من شئتم وأنما اراد الطميح ان يُؤمن لائمتهم ومن شيءٍ يدخل عليه الخلل عند كسرى وكان القوم الغسانيون سبعمائة فارس فقال لهم خذوا من

---

(٥٤) وردت في الأصل «دمشق» .

(٥٥) وردت في الأصل «دمشق» .

عسكر الملك من شئتم فأتفقوا على عشرة آلاف مقاتل وساروا الى بني شيبان وقدم الطميح اليهم بريداً يعلمهم بمسير القوم وعددهم فأجمع بنو شيبان خاصّة واستعدّوا للقاء القوم ، قال وانّهم صبحوهم عند طلوع الشمس فالتقى القوم فأقتتلوا قتالاً شديداً وكان معهم الفِيَلَةَ والخيل غير باسلة بها أنها قد دخلت فيها وقاتلتها فأقتتل القوم قتالاً شديداً الى ان مالَ الضُحى ، وانهزم العَجم هزيمة قبيحة واقتَلَعوا الخيلَ والسلاحَ وكثيراً من الفِيلة وقَتلُوا منها كثيراً ، وأتوا الطميح في حال يكرهونها وهو بها راضٍ .

وقال ثعلبة بن عمرو الشيباني في ذلك :

سائل ذوي الفيل يومَ الرقمتين[56] بما ... لاقت فوارسَهم جهراً وما وَجَدُوا

من ضَرْبِ شيبانَ قومي في صيَاحِهُم ... لا دردرّهم بئس الذي وردوا

مِلنَا عليهم بأسيافٍ مُهنّدةٍ ... والقومُ قَوميَ شَوِسَ[57] في الوغا صَيدُوا[58]

كم من صريع ثوى في الروع تنهشه ... عرج الضباع وطيرٌ حوله حَرِدُ

وكم جريح نجا بعد العيَان لهُ ... قلبٌ خفوق مِنَ الاهوالِ يَرتَعِدُ

هذا جزاؤكم في شأن جَارتنا ... يا ويلكم ضرب تلك البيض يَتَقِدُ

والسمهريّات عاينتم عواملَها ... دمَاؤكم فوقها والخيلُ مَطّردُ

تلكم فَوارسُ شيبان وعادتهم ... حِفظَ الجَوارِ وأفعالٌ لهم تَلِدُ

قومٌ اذا غضبوا لم يرضِ غاضبهم ... إلاّ الصوّارم والخطيّ والتلدُ

فهذهِ عادةٌ فينا وقدْ عَرَفت ... يا جند كسرى متى ما شئتمُ قعدوا

قومي الفوارس يوم الحيّ من عصمٍ ... الوَاردون على روّاء ترتعِدُ

ويوم ارطاة[59] ذات النّهل كان لنا ... في آلِ غسان يوم هائل نكِدُ

بالله لازلت أحميها كما علقت ... حُبلى وأجَهدُ في الاصعاد فاجتهدوا

---

(٥٦) الرّقمتان : ثنية الرقمة وهو مجتمع الماء في الوادي ، وقيل هما قريتان بين البصرة والنباج ، وهما على شفير الوادي ، وقيل احداهما قريبة من البصرة (البغدادي مراصد الاطلاع ٢ /٦٢٥) .

(٥٧) شَوِسَ، شَوَساً : كان شديداً جريئاً في القتال فهو أشوس .

(٥٨) صيدُ : من صَيِد : جعله أصيد اي مائل العُنق .

(٥٩) يوم ارطاة : يوم من أيام العرب .

بمستطيل من الأقوام ليس لهم عنّي رجوعٌ ولا صَدٌّ ولا عَنَدُ
والقول قولي وفعلي قد يُصَدِّقُهُ عَزمي ولستُ عن الجيران اتّئِدُ
ألا بني الرأس من شيبان منتصباً والكاهِلُ الصِلّت والعِرنين والعَضدُ

قال وان بني شيبان ربطوا الفيلة وجعلوا يضربونها وهي تصيح ويُهجمونَ الخيل عليها وهي الفيلة باعيانها اخذوها من العسكر يوم الوَقعةِ الاولى وأقتَلعُوا خيلاً كثيرة وألْفَ فيل ، وقُتل مقاتلتهم ، وقد ذكَرتِ العربُ ذلك في اشعارها من بني شيبان وغيرهم من قحطان وعَدنان فمن ذلك قول مُعاذ بن معاوية حيث يقول :

لعمري لقد حازت بنو عجل مَفْخراً بأخذِهِم الأفيالِ يوم الرَّقائم
غَداةَ عفا الجندان يوم توليّا بسلاّن في البَيداء سَيلَ الغنائم

وفي ذلك يقوم بكر بن ناشر الشيباني حيث يقول :

سَلُوا عن بني شيبان جندين فيهما عبيد ومنصور وأقبال دُرَّسِ
ألم يأخذوا الأفيال بعد فنائهم وتركُهُمُ صُرعى باجراع دورس

وفي ذلك يقول شعثم بن مالك الطائي حيث يقول :

جُنْدُ الطميح غَداةَ الدَرْوعُ قد لقيا شُوساً أشاوس في الهيجاء عِبّاسا
فصَرَّعوهم وبالأفيال قد ظفروا فيالها وقعة قد هالت الناسا

وفي ذلك يقول حِمير بن رزام حيث يقول :

لا خيَّب الله شَيباناً وتَغْلَبَها يومَ الرقيمة في جُنَدينِ من عَرَب
ومن أعاجم قد أفنَوا سُراتهمُ والفيلَ حازوه بالمرّانِ والقُضُب(٦٠)

قال ، قولهم الجُندان لأنهم جندٌ من العرب وجندٌ من العجم من غسان واياد فهم الجند الثاني ، قال وان بني جفنة لما سمعوا بمكان الحرقة عند بني شيبان اجتمعوا الى موضع يقال له الاعفار وجنّدوا .

(٦٠) القضب : من قضب الشئ اي قطعه .

خبر وقعة الأعفار[٦١] غسان وجُند الملك

قال رواة الحديث ان ملوك جفنة إستجاشوا وانفوا وجمعوا من ولد أبيهم خاصّة عشرين ألف فارس من وجوه أهل اليمن وصناديدهم ذوي النَجدة والبأس والشدة والمِراس مِن أنجاد وُلد كهلان[٦٢] من اهل الملك وطلاب المعالي فبلغ عِلمُهم الى الطميح بن عبيد بن سويد الأيادي وقوّاد الملك فأجمع رأيهم على ان يضايقونهم قبل أملهم فزحف عليهم الطميح بِمَن مَعَهُ من القادة والجند . قال وانّ عمرو بن ثعلبة الشيباني أخو صفية الحجيجة لما بلغه ذلك من عِلمهم إنتَدَبَ فُرساناً من قومه منهم نافِعُ بن وائل والربيع بن المسيّب والمسيب بن عمرو وراجح بن مبارك وعقبة بن زيد ، وأبو الأسلد بن مالك والأخنس بن عامر ومسلم بن زهير ، والأفقم بن سريح والاعشى بن عليّ ، وعبيد بن عمرو ، وابو العوف بن ثعلبة والمروح بن بشر والصلت بن الأعمى وبكر بن شعثم وعُبادَة بن مُرّة والحارث بن قسم ، وسالم بن المروح ، وظليم بن عبيد ، وذو النقرة بن الجحدر ، والعنبس بن الفضل وعمارة بن الاعوض ومالك بن علوان ، وان لكل رجل من هؤلاء المذكورين رجالاً تحته وهو مقدّم عليهم وهؤلاءِ رجال بني شيبان وفرسانها ذو النجدة والبأس والشدة والمراس ، وعمرو بن ثعلبة بمنزلة خاله براق بن روحان في حاله وقد كان فيه كثير مَن خصاله وقد ذكره علقمة العجلي حيث يقول :

وان لـعـمـرو من خصـائـل خـالـهِ بـراق بـن روحـان التميمي مـفـخـرُ
همام اذا الحرب الـعـوان تسـعـرّت وغـيـث لـدى الـعافين للجود يَمطرُ

حدثنا رواة هذه السيرة ان هؤلاء الفرسان خمسة وعشرون فارساً وعمرو بن ثعلبة سادسهم وهو أقدمهم على الأهوال وأصبرهم في كل حال . قال رواة هذه السيرة فلما حضر هؤلاء الفرسان ومثلوا بين يديه وجمع اليهم فرسان آخرين وقال لهم انه قد بلغني ان

---

(٦١) الاعفار : واعفر موضع وردَ في شعر امرئ القيس حيث قال :

تـذكّـرْتُ أهلي الصـالحين وقـد أتتْ على خَـمـلَـي مِـنّـا الـرَّكـابُ واغـفـر

«الحموي ، معجم البلدان (بيروت ، لا . ت) ج ١ / ٢٢٢» .

(٦٢) كان لسبأة عدة اولاد اشتهر منهم خمسة من نسلهم جميع قبائل اليمن وهم . حمير ,كهلان ، وعمرو ، واشعر ، وعامله ، وبحسبهم صارت اصول قبائل اليمن خمسة منهم تفرعت العمائر والبطون والافخاذ والفصائل «انظر القلقشندي ، قلائد الجمان ، ٣٩» .

ملوك جفنة قد جمعوا بالأعفار لجند الملك ، وان الطميح سائر اليهم وانا اريد أشهد بكم الوقعة قالوا : نِعمَ الرأي جئت به نزداد بذلك معرفة بقتال العجم ونعوّد خيلنا الاختلاط بالخيلة ، وافترق القوم في اصلاح شأنهم والتجهّز للمسير ، قال وان الطميح سار بجنوده لملوك بني جفنة فقصدهم بالأعفار وأتاهم فثبتوا واستعدّوا ولقوا عساكر الملك وهم في قلة من قومهم وكانوا عشرين ألفاً لا يَزيدون ، والطميح في مائة ألف فارس فصحبهم واقتتلوا قتالاً شديداً وأشتغل بعضهم ببعض ، وادرك القوم عمرو بن ثعلبة بمن معه والقوم في القتال فقال لأصحابه قد اشتغل بعضهم ببعض فميلوا بنا الى اثقال جند الملك فأنقلوا ركائبهم واحملُوا خيار امتعتهم وانا أشهد الوقعة وادرككم بخبر الجندين فغدوا الى اثقال جند الملك فحملوا خيار أمتعتهم على ركائبهم فولّوا بها . قيل وان عمرو بن ثعلبة حمل في السواد وقاتل مع ملوك بني جفنة ساعة ملّية واستقاموا وصبروا ثم كثروا وقهروا بعد صبر مشكور وجلاد مذكور فولّوا لما كثرتهم القتل ولم يكن لهم بعد ذلك من عطفة ثم ان جند الملك أطلع بعضهم على اثقالهم فلم يجدوها فصاح صائحهم في الجند فخرج طائفة من الجند وخرجوا خَلفَ اثقالهم وتبعهم عمرو بن ثعلبة وكان يحمل في آخرهم ويقتل ، فلما رأوا ذلك صاح آخرهم على اوّلهم فتأملوا فاذا هو فارس واحد فحملوا عليه حملة رجل واحد ما ظنّ أحد أنه يفلت منها ، وكان تحته فرس سابق من اولاد المنسوب فرس خاله البراق بن روحان فما كان أسرع من خروجه من السواد[٦٣] ووارى أصحابه وصارَ يُحامي عليهم في آخر خيلهم وأوّل خيل كسرى حتى افلتوا ما معهم وحال بينهم الليل فلما قدم عمرو بن ثعلبة وقومه بالغنائم قسمها بين الصغير والكبير ، والغني والفقير ، ووافق منها الذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت واللِباس الحَسَن والخز والقز والفرش والديباج الأحمر والأخضر والأصفر وما لا يعرفونه قبل ، ولما أقتسموا ايقنوا حينئذ بالهلاك وانها تكون داعية لذلك ، وفي ذلك تقول صفية ابنة ثعلبة الحجيجة :

ساقت فوارسُ شيبان لِمَعشرها   خير الصنائع فيها ظَفرةُ العجم
غنماً سبايا من الديباج فرشهم   والتُّسترى[٦٤] واقُنّان[٦٥] من القَسِيم[٦٦]

---

(٦٣) السواد : سمّيَ بذلك لسواده بالزروع والنخيل والاشجار لأنه حيث تاخم جزيرة العرب التي لا زرع فيا ولا شجر . فسموه سواداً لخضرته بالزروع والاشجار ، وحد السواد من حديثه الموصل طولاً الى عبادان ، ومن العُذيب بالقادسية الى حلوان عرضاً «الحموي ، معجم البلدان ٣ /٢٧٢» .

(٦٤) والتستري : نوع من الملابس ، منسوجة في مدينة تستر.

(٦٥) [illegible]

(٦٦) القسِم من القسِمَة ، قسِمات وهي جونة العطار وهي سُلَيْلَة يجعل فيها العطر .

ثم النُّضار وفيهِ الدّر منتظم ... واللؤلؤ العُجْمُ والمعروف بالنظم

أهْدى أخي عَمرو خير الغنم فأنتظروا ... عِندَ الصباحِ جِباهُ الخيل بالحَذم

يا آل شيبان بعد اليوم لا صَدَدٌ ... عن الكِفاح وضربٍ مُتلِف القِمم

إني وعمروٌ على وَعْدٍ نفيٌ به ... من الوفاء وأسبابٍ مِنَ الذِّمَم

هذا مقالي وقومٌ قائلون معي ... كما أقول لسانٌ صادقٌ بفم

انا الحُجَيجَةُ من قوم ذَوي شرف ... أولى الحِفاظِ وأهلُ العزّ والكرَم

والعِزّ فينا قديماً غير مفترق ... والجار فاعلم عزيزاً داره بِهم

قُولى لكِسرى أجْرنَا جارةً فَثوتْ ... في شامِخ العِزّ يا كسرى على الرَّغم

نحن الذين اذا قُمنا لداهية ... لم نَبْتَدِع عندها شيئاً من النَّدم

نحوط جاراتِنا من كل نائبةٍ ... ونَرْفِدُ الجارَ مَا يَرْضى من النِّعَم

قال رواة هذه السيرة ، وان الطميح لما رجع الى مدينة الحيرة[٦٧] اقبل عليه منصور بن عمرو الغساني واخوته وقومه ثم قالوا يا طميح ما رضيت بنوا شيبان بعد إذ جاروا الحرقة حتى اخذوا امتعتنا وظاهروا علينا بني جفنة وذلك كلّه من إتّقآئلٌ عليهم فعند ذلك بعث الى بني شيبان ان يحذروا وينضّمَ بعضهم الى بعض فاني لا آمن عليهم بعد اليوم فردوا جوابه انها جارتها الحجيجة ولا طاقة لنا بها فأصنع ما انت صانع وعليك التصريف والاجتهاد وعلينا الطعان والجلاد وقد دخلنا بالخطر وهذا غاية الخبر فلما اتته رسله بذلك ايقن بهلاكهم وصار مُنِكراً في امرهم يقول طوراً ضلت أحلامهم وخاب سعيهم ، وطوراً يقول والله لقد ذهبوا بفخر الجوار وحسن الآثار ولقد استمسكوا بعروة المجد ولنعم ما فعلوا غير ان جرهم لا يجدي عنهم شيئاً وليت شعري كيف يكون خلاصي بينهم وكثرة تحيّره في ذلك ، قيل وان منصوراً قال للطميح ما يمنعك ان تنصح الملك في قومك كنصيحتنا له في قومنا بني

(٦٧) وردت في الاصل (دمشق)

ماء السماء وكفعالك أمس في الاغفار ببني جفنة فلِمَ لا تسير اليهم بجنود الملك فتذهبهم بها ، وتدكهم دكاً ، وتنزل فيهم النكاية التي ترضى الملك فلقد علمته بمكانك عنده وكثرة أياديه عليك ، وبالله لئن لم تأتي فيه بمحبوب الملك لاكتمنا اتقاك عليهم عنده وليرفعن عليكَ ذلك ، قال الطميّح : يا منصور انّ بني شيبان لأقلُّ من أن أسير اليهم بجنود الملك كافة غير انّي أستهِمُ أنا وانت على الخروج اليهم بمثل الجند الاول فان وقع سَهْمُ الخروج عليك خرجت اليهم باكفائهم وكفيتَ وان خرج عليَّ السَهم توليت كفايتهم ولا يكون غير ذلك وأعلم يا منصور انك حريص في وَهْنِة بني شيبان وهلاكهم ، وبالله لئن كان ذلك لَيُضَيّعنَّ الجوار ولَيكوننَّ بني شيبان نذراً وحذراً للعرب . فمهلا يا منصور أقصد في الأمر فانهم أجاروا إبنة عِمكَ بعد إذكَرهَتْ العربُ إجارتها من قحطان وعدنان ؛ يا طميح يَرُدّوُها الى يدي وانا أبريئهم من ذمّتها وعليَّ صلاحَ شأنها وأمرها ولم أجُد لها عِوضاً بعد أبيها وملكه مثل كسرى وملكه قال نحن نوجه اليهم رجلين أحدهما من خاصتك والأخر من قبلي يخاطِبُهُمْ بهذا فلعلَّهُمْ إنْ يَقبلونه فيكون أهْوَنَ علينا وعليهم فأتفقَ الرَجُلان على ذلك وَوجها رسولين بذلك ، فلماً قدما على بني شيبان ورسالتها وَجّهوا بهما الى الحجُيجة فأوقفت الحرقة على رسالة منصور فقالت الحرقة العذاب الدائم والقتل والغلّ في السلاسل في السجن والصّلب في الشمس او على لهب النار ورفيع الدّخان اهون عليَّ من هذا الرأي فان عزمتم على ذلك تُسلّموني الى منصور يَمضي عليّ حكمُهُ ويقطع برأيه فاربطوني بينَ رَمْكةٍ[68] عشارٍ وبين حصانٍ مُنعِم قد أضرِبَ به حتى يلتقيا عليّ ، فهي تضربه برجلها وهو لا يردّه عنها شيءٌ فاذهب بينهما تحت حوافرهما خير لي مما يحاوله منصور فقالت لها صفية والله لو رَضيتِ ذلِك لنفسك ما رضيناه لكِ ولا أخترناه لكَ بعد أن لزمنا أمرك وعرفنا بالقيام ، غير أنيّ أردْتُ أن لا أخْفي عَنْكِ شيئاً ثم رَدّتْ رُسلُ منصور بالكراهية وأنشات تقول :

قولي لمنصور لأدرّت خلائـــــفـــــهُ	مـا صـاح فيهـم غُرابُ البين أونعـقا
مَن زوّج الفُرسَ يامَتبول[69] قبلكم	من الأعـــارب يــا مخذول أوسبـقـا
إخـتـر عـدمـتُك مـن حُـرّ أخـاً ثقـة	فـانـطـق فأنتَ أشرُّ النـاس إنْ نطقا

(٦٨) الرَمْكة : اي الفرس .

(٦٩) المتبول : من التَبْل وهو العداوة والحقد ، وشخص متبول اي حاقد .

يـا وَيحَ أمّكَ يـا مـنصورُ إنَّ لـنـا ... خَيْلاً كِراماً تصُونُ الجارُ ماعِلقا[70]

بـالله لأنـال مـنصورٌ لجارتـنـا ... وكـل جيشٍ يجئنـا يـرجعنَ فـرقـا

فَـمُتْ بغيظكَ يا منصور واحى عَلي ... بَـفضـاك قومي وشمّرْ كُـلّ يوم لـقِا

وأحَـذر تُـمـنّـى فما تُـعْـطى مـناك بها ... فـتـلك مُـنْـيـا تعيد الضّعف والنزقا

ليست بنو بكر ترضى ما رضيت به ... يا ابنَ الّدنّية فاجمِلْ إنْ أرَدْتَ بَقا

قال ، وعند وصول رسوليَ الرّجلين بجواب صفية وإنشاد شعرها حنق منصور حنقاً شديداً وآلى على نفسه لَيَغْدُوَنَّ ويَروحَنّ في حرب بني شيبان ولُيُحرضَن على هلاكِهم كما كان هَلاك بنيِ ماء السماء على يد الطُّمَيح ثم قال يا طُّميح ما عندك في القوم ، قال الحال الذي سمعته منّي أستَهِمُ أنا وأنتَ فمن خرج السهُم عليه خرج لبني شيبان وكفى حالهم ، قال فلم يجد منصور في ذلك عُذراً ولاحجة تدفَعُ عنه فعند ذلك تساهما فوقع السَّهمُ على منصور فخرج مكرها بمثل الجند الأوّل وقد علم انه لا يستقيم لبني شيبان ، فانشأ يقول :

كـاَد الـطَّـمـيحُ لمنصورٍ وأخوتـهِ ... كـيـداً لـيـظـفـر شيـبـاناً كما ظَفُـروا

بـالـرقـتـين غـداَة الجندُ مُضْـطَـهِداً ... جُـنْـدَ المـلـيك انوشروان إذ كُسّـروا

مَنْ مُـبـلـغ المِلكَ السّامى خـيانـتهَ ... فـانما بـطـمّـيح عِـجْـل قـد نَصَرُوا

إنّ الأعـاربَ أعلاهـا واسفَـلُـهـا ... قـد تَـكَّسُوا رؤسَهُم عنها وما قَدَروا

لِـلـمـلَكِ كِسرى مُناواة وقدَ علِموا ... مـا عـنده من جنود عـندمـا خَـبرُوا

وسوف أجَـهْـدُ في إفـنـاء فوارسهـم ... اقسـمُـت بـاللهِ بـعـد الـقـتـل لافتروا

ان لم يـنـحـن على عـجـل نساؤهـمُ ... ثـكلا هُـنـاك فلاَ سامُوا الى الشرر

انـا ابنُ عـمـرو وكلُّ الخيل تَـحْذَرُني ... عِند الِكفاح سوى عـجلٍ فما حَذَرُوا

وسوفَ أتْـركُ في شيـبـانَ مُـعْولَـةً ... ثـكلاَء تشـكـو لهيب الـنـار تَسْـتَعِرُ

لأجـعَـلَـنَّ حِـبـالاً في رقـابِـهـمِ ... فيهـا الَـمـذلّـة والإصـغـار والـحَّـرُرُ

---

(٧٠) العلق : من علق وعلق الرجل اي شتمه بلسانه اي سلقه .

ذكر الوقعة الثانية بين منصور وبني شيبان

قال رواة هذه السيرة : وان منصورا سار بعسكره وقد قَدِمَ الطّميح الى بني شيبان من ينذرهم فيصبحهم منصور وهم حذرون مستعدون وكانت عين ابي جدابة مع القوم بالحيرة[٧١] فخرج يعلم ابا جدابة التغلبيّ بمسير منصور فاسرع في الغارة وحضر الوقعة والتقى القوم واقتلوا قتالاً شديداً الى ان اعتدل النهار وأفترق ألحيان وثارَ الغبار بينهم وكان اول من لقى الجند عمرو بن ثعلبة وأبوه من خلفه ثم تواترت الخيل واوّل غارة ابي جدابة باخر خيل بني شيبان فلما كان عند افتراق ألحييَّن ابرز منصور بن عمرو ونادي ببراز عمرو بن ثعلبة فاجابه مسرعاً وهو يقول :

إني إذا الـــداعي مجيبٌ في عـــجــل ... داعى الحداد والجيــــــاد والأسلْ
والضرب من تحت العجاج في القلل ... أنـا ابـن مـهـيوب في الـقـوم بَـطـل
مجرّب تـعـرفـه الخيـل والـجَـمَـل ... نحن بني مـــاء الســمــاء لا نَـمُــلّ
ولانَبالي بالزمانِ ما فعل

والتقى الرجلان وكانا قويّين فاطعنا بألرّماح حتى تكسّرت واضطربا بالسيوف حتى تَقلّلت وكلنا مظاهرين بالحديد ، وتصادما وتواثبا وتباعدا وتقاربا وضرب كل واحد منهما درع صاحبه وتواثقا وكان عمرو بن ثعلبة في إستِواء من شبابه ما بين الثلاثين والاربعين ، وكان منصور في الكهولة ما بين الخمسين والستين ، قال وان عمرو بن ثعلبة اقتلع منصورا من سرجه وطرح به الارض وكره قتله ثم تنحّى عنه وقال اركب جوادك فركب منصور وحمل هولاء على هولاء فاقتتلوا قتالاً شديداً الى غروب الشمس وكانت الدائرة على منصور واصحابه واقتلعوا القوم خيلاً وسلاحاً وأنصرف ابو جدابة من المعركة رائحاً فتقدّمهم عمرو بن ثعلبة يقسم عليهم بالتقدم معه فزجره ابوه وقال مهلاً ليس هذا اوانَ ذلك عاد العشيرة على حقدٍ وغضب فدعهم حتى يَبْرُد ذلك ثم يكون ما تُحِبُّ فأنصرف

---

(٧١) وردت في الاصل دمشق .

كل قوم الى اماكنهم . وقال نافع بن عامر الشيباني في ذلك :

على ابنة ماء المزن نحمي ونحتمي ... على مثلها تحمي الكماةُ[٧٢] الأكارمُ

نحافظ عن بنتِ المليكُ بُعيدما ... ألحَّ عليها بالطلاب الأعاجم

ولّما تجرها العربُ في وجهاتها ... وقد هتكتْ أستارها والمحارمُ

تؤبُ الى بيضاءَ منَ الِ وائلِ ... فلمَ ترتعد منها الحنا والحيازمُ

أجارت لعمري حُرّةً يمنيّةً ... مهذّبةَ الأنساب فيها الاكارمُ

أجارت فلم تفحشْ ولم تُخْفِ جارها ... ولا لُويتْ يوماً عليهِ المظالمُ

وخطنا ألتي حاطت فأصبحَ دونها ... لعمري المواضي والجياد الشواظمُ[٧٣]

ابالله يا منصور انْ يُمسِ جارنا ... تُحاوله في اللذغْ منها الأراقمُ[٧٤]

وانّا اناسٌ يُخمدُ العارُ دوننا ... وتنسفهُ عنّا الرّياحُ الهواجم[٧٥]

أبت لبني شيبان قُبٌّ[٧٦] سوائج[٧٧] ... بأنْ يتركوا جاراتِهم والصّوارمُ[٧٨]

وسُمْرُ العوالي والقواضبْ يافتى ... ووُرّادِ حرب من رجالٍ ضياغمُ[٧٩]

بشيبانَ ينجو الجارُ مما يخافهُ ... وينعمُ بالأرفاد مَنْ هو عادمُ

أبى الحسب الزاكي لشيبان معشري ... قبيح الشنابل عرْضُ قومي سالمُ

ستحمي حمى الأعراب نحمل ثقلها ... إذا سلمت ارماحنا والصوارمُ

ولاَ عجبٌ إنّا أتينا غريبةً ... من المجد لاقت كفوها وهوائمْ

أجَرنا ابنةَ النّعمان والله جارُنا ... ونحنُ المجيرُونَ الحماةُ المُقادمْ

ونحنُ حُماةُ الحرب في حومةِ الوغا ... إذا قطعت بالمارقين الحلاقُم

تبرّتْ جميعُ العُربِ خشية فيلقٍ[٨٠] ... بكل دقيق الترب فيه البراهمُ

---

(٧٢) جمع كميّ ، وهو من أوصاف الفرسان الشجعان المدججين .

(٧٣) الشواظم : من الشواظ وهو الصياح او شدة العطش .

(٧٤) الاراقم : أخبث الحيّات ، وما كان من الحيّات فيه سوادٌ وبياض .

(٧٥) الهواجم : هي الرياح القوية السريعة والتي لا تستوي في هبوبها ، وتقلع البيوت .

(٧٦) القِبُّ : رئيس القوم وسيّدهم .

(٧٧) السوائج : من السّوج اي الكرم ونحوه .

(٧٨) مِن صرْمَ : صَرْمة وهي القطعة من الجمال أو النخل ، وكذلك الناقة القليلة اللبن .

(٧٩) الضياغم : اي الاسود .

(٨٠) الفيلق ، جمع فيالق اي الجيش العظيم

حـسْبنـا عـليهـا إذ أجـارت صفـية | فـذلكَ عـزّ قـد حَـوَيـنـاهُ عـازِمْ
ولم تـلْقَ منـا بـعـد ما عَلِقَتْ بِنا | فـيـا قَـلـقـاً فما جنى الـدهـرُ نـادِمِ
ولـكـن نُـلَـقّى لشرْيِ الموتَ بـالوفا | فـتـلك سجـايـا معشري والمعـالـمْ
فـان قـال ذُو قـولٍ لشـيـبان أخْـلَفَت | فـذلِكَ قـولٌ لا مُـحـالـة حـالِـمْ
دَعُـوا آل غسّـان لشـيـبـان غيركـم | نجالـدُهُـمْ مِنْ أجـلكـم ونُـراغِـمْ
ألسْنَا الـذّيـن حِطنـا لكـم بـرماحنـا | عـقـيَـلـتَـكُـمْ بـلْ أنتَ منصورُ نـائِـمْ
فَـدع ال شيبانَ يَحُوطوا ذِمَاركـم[٨١] | فـلـيسَ لشـيـبـان الـيـكـم جـرائِـمْ

قال راوي السيرة : لما دخل منصور[٨٢] مهزوماً لم يَصِل إلى الطميح ولا أعلَمهُ ماناله بل أعتَزلَهُ واقام مُجانِباً له واجداً عليه لشأن ابقائه على بني شيبان ثم انه جدَّ عزمه ان يروح الى الملك ويعزل الطميح من الحيرة[٨٣] فتوجه في رهطه خاصة حتى قدم الى الملك بالذي معه فاستاذن له على الملك فاذن له بالدخول فدخل عليه فحيّاه بالتحية التي يحيّا بها وقام قائماً بين يديه فاذن له الملك بالجلوس فجلس بين يديه ، وأقبل منصور بن عمرو على الملك يشكو الطّميح بأكْثَر مِنْ جُرْمه وكَشفَ له عن خيانتهِ وإبقائه على بني شيبان فَقَتلوهم وأستأسروهم مرتين وكره ان يقصدهم بجنوده بعد أن أجاروا الحرقة وكَبر عليه حتى سخِط عليه الملك وَحنق واحمرّ وجهه من شدة الغضب ثم أطرق براسه الى الارض مليّا وأمر كاتبه ان يكتب الى الطّميح كتابا بالعربية[٨٤] بالوصول والتهددّ والتوعد ، وقد كان الطميح منتظراً لذلك مع رواح منصور وانه لا يبقى عليه شيئاً فلما جاءته الرسل بالوصول ومّل التاخر عنه ترك مدينة الحيرة[٨٥] وتوجه اليه في عساكره وخلىّ المدينة وبلغ علم خلائها الى بني شيبان فشدّوا ولبسوا سلاحهم وركبوا خيلهم وقصدوها فاصابوا بقية من الغنائم مما ثقل ولم يحمله عسكر الملك فضّمهُ بنو شيبان اليهم واقاموا بها شهراً كاملاً وانصرفوا عنها وتركوها خالية خاوية على عروشها بعد أنس ونعيم عصوراً طويلة ، ثم ان الطُّميح قدم على كسرى

(٨١) ذماركم : الذمار : كل ما يلزمك حمايته وحفظه ، والدفاع عنه ، وان ضيعته لزمك اللوم ، وترد بمعنى الحرم والاهل .
(٨٢) وردت في الاصل (دمشق) .
(٨٣) وردت في الاصل (دمشق)
(٨٤) وردت في الاصل (بالعربية) .
(٨٥) وردت في الاصل دمشق .

وقد انفتح عليه خلاف من ملك قيسارية[86] أخذوا بعض مدائن كسرى واخرجوا من كان فيها من عمّال كسرى ، فلما قدم الطميح على كسرى عفا عنه وسيّره في جنوده لاصلاح بلاده ، وقد كان يتبارك به ، واعتاد النصر على العدوّ به فسار الطُّميح حتى اخرج قواد ملك قيسارية من مدائن كسرى واستقر على ارضه وكتب اليه يهنئه بالظفر ويعلمه بفعله ويقول له ما يرسم الملك الوقوف او الرواح اليه فرد كسرى جوابه يشكر فعاله ويقول له ترد عليها عمالها ويروح بمن معه قال فرد عليها الطميح عما لها :
وانصرف بجنود الملك مظفراً منصوراً مجبوراً وانشأ يقول :

كاد الايـاديّ منصور وأخوتـه	فـقـد لعمرى نجى من كيد غسّانا
قومٌ يـريـدون في شيبـانَ مَهْلَكَةً	وَجُرمُهُم اَنْ اجاروا بِنتَ نُعْمانا
هـذا جـزاءُ بني شيـبـانَ عنـدَهُـم	والله يـعـلم بـالأجْـرام مـا كـانـا
ضَيَّعْتُم الشرف العالي وقد جَعَلتَ	شيـبـانُ غسّـانَ اعمامـاً وإخوانـا
مـا كـان هـذا لَعمري بالجزاء لَهُمْ	لِكّن منصو راً أضحى اليومَ حيرانا
تـالله عَمْـري ازال الـدَّهـرُ مجتهداً	في المَجدِ أو يَنثني المَغْرُور حَدْثانا

قيل ولمّا بلغ الطميح الى الملك منصوراً قد ظفر بأعدائه استقبله الملك بأحسن القبول وازدادَ عنده رِفعة وجَلَالة وحَباه[87] بأكثر الحباء وفوَّضه في جميع اموره ورفع منزلته وأمَرَ لَهُ بعشرين بَدْرة[88] غير الكسوات وغير الدّرر والياقوت والجواهر واللؤلؤ والزبرجد والفضة وفرش الدّيباج ، وأنْعَمَ عليه الملك نِعمة ما أنْعَمها مَلِكٌ على قائِد ابداً يستجلب بذلك نصيحته لمعاني خدمته والقيام بأسباب ملكه في كل الأشياء لأنه كان لا يجد به عوضاً في جميع اموره فلّما أناله ذلك النيل وأتحفه أقبل عليه ، وقال له يا طمّيح انت نصيحي وقسيمي في مُلكي وقائد جنودي ودعامة ملكي اذ فوضتك في جميع اموري وجعلت

(٨٦) قيسارية : مدينة كبيرة في بلاد الروم (انظر البغدادي ، مراصد الاطلاع ١١٣٩/٣٦).

(٨٧) حباه : اي اعطاه .

(٨٨) البَدرة : جمع بَدر ، وبُدُور : عشرة آلاف درهم ، ومن المال كمية عظيمة منه يقولون فلان يهب البدور ، اي الكيس الموضوعة فيه .
«قاموس المنجد ، ص ٢٩» .

مقاليد ملكي بيدك ثم أخرجتك للنعمان بعد ان عصاني وكفر نعمتي وقد جند من جنود العرب ما هو أكثر من الجند الذي خرجت به لم يُخفِكَ ذلك بل لقيتهم وفرقت جموعهم وأسرت ملوكهم واظفرتني ببني ماء السماء فثووا في سجني حتى ماتوا فيه من الجوع والعطش ثم أمرتك تأمر في قبائل العرب صوائحك ان لا تُجار الحرقَةَ فوقفت العرب عن إجارتها وأعتدت بنو شيبان أمري فلم تنزل بهم عقوبتك ولا أحللت بهم الهلاك بل أبقيت عليهم ولم تأخذهم بجرمهم وهذا شيئ يدخل علينا في ملكنا الوهنة والركة ثم جاءني منصور بن عمرو واخوته يشكون ويوضحون خيانَتَكَ فلم أقبل عليك كلامَهم ، ولم أَستَمِعَ مقالتهم بل زدْتُكَ إكراماً وأنعاماً والآن فلابدّ في مجلسنا هذا من المناصحة فأما ان تكون معي مخلصاً فأعرف لك ذلك واعتقد على نصيحتك وان كنت راغباً في مناصرة عشيرتك قبلت عذرك وكنت تلحق عنيّ بمن شئت وبمن لحقت من العرب فلا حرج عليك فلو لا خصال عرفناكم بها يا معشر العرب ما استخدمناكم ولا وَسعَكُم حَبَائنا ولا عمكّم فضلنا ولا أضلّكم ظِلُّنا وذلكم وفاءُ عهدكم وصبركم في القتال ثم اشكلت في امرك ولم آخذك بأوّل هَفْوةٍ وزلّةٍ أتيت فأوضِح ليَ مَا عِندك فأعتَقِدُ عليه ، فقال الطّميح ايّد الله المَلِكَ إنمّا جَنَّدْتُ الجنود من العرب والعجم لجورَ ودفع الملوك الذين هُم اكفاؤك وأضْدادُك لا لأجل بَدْو وأهل فلاة واصحابِ غارةٍ أنْ يُغيرُوا مع الجار وأن لا يُسْلِمُوهُ وهم سالِمون ولا يَرومونَ اكتساب ملكه ولا إزالَتَهُ عَنْ ولاتَه وانت قد عرفت نصيحتي لك وصبري في الوقائع الكبار وما قطُّ نكَسَ لَكَ عَلَمٌ بيدي ولا كُسِرَ عسكرٌ أخرجتني فيه ولا رجعت عن عظيمةٍ نَدَبتني فيها وقد أخرجتني لبني ماء السماء فأبلَغتُكَ فيهم المحبوب ثم أمرتُ بالصَّوائح في العرب كالذي رَسَمْتَ عليّ فتورَّعت العربُ جميعاً عن إجارتها حتى أجارتها الحجيجة حجيجة وائل ، وقد بَلَغَكَ عن حجيجات العرب ما بلغكَ فَخَشيتُ أنْ أُجاهِرُهَا في جارتها فتُصَّرِخُ عليَّ في العرب من قحطان وعدنان وسالف العرب وتأتي بأمر يكون فيه فسادَ أمرك فأن رأيت ان تترك لهذه الجارية جاريتها فأفعل ذلك فبالله ما أقول لك ذلك إلا ناصحاً لا لأجل عصبيّة ولا لخيانةٍ فقال الملك لا يكون ذلك أبداً بعد اذ كسروا عسكري مرّتين وعصوا أمري ، قال له الطميُّح فما بلغك عن ملك شمر[89] في شأن جارية بدوّية إنها

(٨٩) هو شمر يرعش بن ياسر ينعم بن عمرو ذي الأذعار . وهو من تبابعة حمير «انظر ابن حزم . جمهرة انساب العرب ، ٤٣٩) .

كانت سبب فساد ملكه اذا جَمعت عليه العربُ من قحطان وعدنان فهل لك ان تقبل نصيحتي قال له الملك ان العرب لأقلّ مِنْ ذلِكَ فدبّر لي في شأنِ بني شيبان رأياً حَسَناً قال له الطميح فإذا عزمت فلا تخرِج لبني شيبان عسكراً كَعَددهم لئلاّ تؤلّب الحجيجة العرب ، وكلما كسر لك عسكرٌ أخرج عسكراً غيرهم فأنهم يَملّون من تكرار العساكر عليهم مرةً بَعدَ أُخرى وانك بعد ذلك تظفر بهم وإن أنتَ أخرَجتَ جنودك كلّها غَضبَتْ العربُ جميعاً ووقعت المناجَزة وكانت إمّا لَكَ وإمّا عليك فَقَبِلَ الملك رأيَهُ وأَخَذَ بقولِهِ في أن يَقْتَصدوا في التخريج فأذِنَ له بالخروج من عنده بجميع ما أَجْزَلَ لَهُ الملكُ يحملونه غِلمان الملك مع الطّميح الأيادي .

خبر الوقعة الثالثة بين منصور وبني شيبان

قال بِشْر بن مروان الأَسْدي ثم انَّ الملك وَجَّهَ لمنصور بن عمرو ، وخَلا به في مجلس سرّه وأمر بالطعّام والشراب فأَكَلا وشَرِبا فلمّا طابت نفسُ منصور أَقْبَلَ عليه المَلِكُ وأستشاره في أمرِ بني شيبان فقال تُخرِج معي جُنْدَ الطميح فأَبْلُغكَ فيهم المحبوبَ أَقْتُلَ رِجالَهم وآخُذُ أموالهم وأَسْبِيَ حريمَهُم وآتيكَ بالحِرْقَةِ فقال له الملك أنيّ إن أخرجتُ معكَ جُنَد الرّجل فكأنّما عَزَلتَهُ ولا أفعلُ ذلك أبداً وانّ بني شيبانَ لأقلّ من ذلك غيرَ أنّي أُخرِجُ معكَ عَشَرةَ آلاف فارس وتَنْزِلُ بهم قريباً مِنَ القوم وتَغْدوَ عليهم بالفتنة وتروح فأن احتجت بعدها لقوّةٍ أَمَدْدناك بالرّجال والأموال وعليّ أنْ أتحمل من الازواد ما يكفيك فقال منصور قد عرفتُ لِمَنْ هذا الرأي ولست أَخْرُجُ في عشرة آلاف لأنها لا تقومُ لبني شيبان فَلَمْ يَزَل المَلِكُ في محاورته حتى وافقه على عشرين ألفاً وأجزل له الملكُ وحباه بأموالٍ كثيرة كل ذلك لِيَمتَحِنَ العربَ بالعربِ قال فعند ذلك تجهّزَ منصورٌ وخرج في جميع عساكره لبني شيبان قيل وانّ الطُميّح قَدَّمَ اليهم بَريداً مِن قِبله يُعْلِمُهُم بِعَدَد القوم ويأمرهم أَنْ يَستَعدّوا ويَحْذَروا الوحدة فلما جاءهم الرسولُ وأخبرهم أوقفوهُ بينَ يدي صفية فلما أخبرها الرسول ان منصوراً توجه اليهم في عشرين ألف فارس أنشأت الحجيجة صفّية بنت ثعلبة تقول :

مـاذا أحـادثُ من عشرين يُـقْـدِمُـهُـمْ   مـنـصور في حَيّ غسّـان على نُـجبِ

من الجيـد عـليهـا الحيُّ مِنْ يَـمـنٍ | والعُجْمُ ترفُلُ في الماذيِّ[٩٠] واليَلبِ[٩١]
وعـنـدي الأفـقـم الهمّاس[٩٢] في فـئـة | منهـم طـلـيـمٌ وعَـمّـارُ بن ذي كربِ
وعُـقـبـةٌ وعـبّـاد والـربـيـع الى | ذِي الـقـرّة الـفـارس الحمّال بالـكـتبِ
والصّـلْتُ مـع سالم والمالـكـان مـعـا | ومسلم بـعـد بـكـر الـفـارس الأربِ
ونـافـع وعـمـيـس والمرّوح في | فـرسان شيبان لا ميل ولا عَضَبِ[٩٣]
والأعوصـان وعواف وأحسبهـم | وأبن المسيّب مُرْدي الخيـل بـالـقُضُبِ
يـا عمرو يـا عمرُو أجبني يا إبن ثعلبة | يـا شُبةَ بـراق يوم الـقـتـل والسّلبِ
لأجـل عشرين الـفاً إصْحَ صارِخة | في آل بـكـر وذا شيءٌ من الـعـجـبِ
لا تـكشفوني بهذا الـيوم وأرتـقـبُوا | يومي لوقت اجتماع الـعُـجِـمْ والـعربِ

قال رواةُ هذه السّيرة لما ذَكَرتْ صفيةُ فرسانَ هذا الكتاب بأسمائهم كان أوّلُ من أجابها أخوها عَمْرو ثم لم يَبْقَ رجلٌ الاّ وقد أجابها وقالوا علينا لا نُحوجُكِ في هذا الى صارخ بل نحن نكفي ونستقيم فأفترَقَ القومُ في إصلاحِ شأنهم واستَعدوا للصباح ثم أنّ منصوراً صَبّحَ القومَ فوافَقَهُمْ حَذِرينَ فتعجَّب من ذلك وكان إذا اراد غِرّتَهمْ لم يُمكِنَهُ اللهُ من ذلك والتقى القَوم فأقتتَلوا قتالاً شديداً حتّى مالَ الضُحّى وأفتَرَقَ الحيَّانُ عن قَتل وجُراحٍ ونادى عمرو بالبَراز[٩٤] ، فبرزَ اليه هِرَقِلٌ من عظماءِ العَجم وأشدّهم بَأساً وأقواهَمْ مِراساً وكان له غُبب[٩٥] قد نزل على صدره فركبَ سهماً على وتر قوسه فرمى به عمراً فأصابه وأنثنى عمرو بسيفه وحمل عليه حين أصاب السهمِ عمراً وأنفذ اليه من درعين حتى كَلْم[٩٦] في صدره ثم ركبَ ألسّهم الثاني ليرمي به عمراً فعالجه عمرو فضربه فجدَّله صريعاً وضرب فيله فعقره قال حاضر الوقعة فما كنا ندري نسمع اكثر زعاق[٩٧] الفيل أمْ خُوار[٩٨]

(٩٠) الماذي : كل سلاح من الحديد .
(٩١) اليلب : الترسة او الدروع اليمانية من الجلود . وقيل خالص الحديد .
(٩٢) الهماس : هو الأسد الكسار لفريسته .
(٩٣) عضب . عضباً . واعضبهُ : اي أقعده عن الحركة .
(٩٤) وردت في الأصل «بالبراق» .
(٩٥) الغبب : اللحم المتدلي تحت الحنك من الديك والبقر .
(٩٦) كلم : اي جرح .
(٩٧) الزعاق : من زعق زعقاً : اي صاح . والزعقة الصيحة .
(٩٨) خوار : من الخور : اي الانكسار .

أعجمي قد رواة هذه السيرة وتعصف خيل بحمية فوق ذلك أبو جدابة التغلبي وذلك أن رقبته جرحت على المضايقة فشدوا أصحابه وأغاروا إغارة سريعة وأحموا الخيل بالسياط فجرحت وهي تضب عرقاً واتقى الناس دفتتو قتالاً شديداً وولت العجم وحافظ منصور في رهطه ولم يولوا الا بعد صبر مذكور وجلاد مشكور وفي ذلك يقول نافع بن عمرو الشيباني :

سل الحيّ من غسّان يوم تذامرت … جيادهم بالرقتين وكرّت

وقارب شيبان الأعاجمُ وأبنذت … ضربَ الطلي فرسانها واستجرّت

ألم تفرهم شيبان ضرباً منكسّراً … وننظم اكبادَ العدا بالاسنة

حمسنا عليهم حملةً فتفرقوا … أسودُ وغىً في عارضٍ كالدجنّة

بكل رقيق الشفرتين وذابل … ومغورة قبّ سُرّاع الأعنّةِ

نحافظ عن أعراضنا وحريمنا … لشأن إبنة النعمان لمّا استقرّتِ

تجرّ في جار منيع مُحوّطٍ … وبانَتْ على حُسْنِ الجوار وظلّتِ

عزيز على الفرسي كسرى مذاها … وعن يد منصور تعلّت وجلّتِ

ثوت في قرار العزّ ثم تربّعتْ … بساحة بيضاء ذات عزّ وحرّتِ

أجرنا وخاطرنا على الموتِ اذ ونت … جميع البرايا في الجوار وتلّتِ

فلم ترع حيّاً غيرنا ليجيرها … إذا قدمت أُولى الجنود وولّت

فكم قد وعرنا خيل كسرى ولم تَقِفْ … واقسم منصورٌ على هتكِ حُرْمَةِ

ودبّرنا بالكيد بالله برهةً … وصوّب بالطّعناء صوبَ الأحبّة

فثبّتّ ابن عمرو كافراً غير شاكرٍ … لقوم أجاروا أختكم حين فلّت

وطفت بأحياء الاعارب كلّها … فلم تلْقِ حيّاً مُستقيماً لمنحبتِ

سوى الحيّ من شيبان لمّا تعرضت … فتاةُ بني عجلٍ وقامت ولبّتِ

بنداً لابنة النعمان لمّا تخيّرت … عن الطعم احياناً وبالريق غصّتِ

وقال بشر بن المروح الشيباني :

عفتْ دارُ سلمى واستحلَّ المعالِما … فانكرتُ منها عهدها المتقادما

حمت حججاً بعد النوار وتربها … فلستَ ترى إلاّ الأثافيّ جواثما

بكيتُ بها عصرَ الهوى ونعيمَها ... فأبكَيْتُ بكُائها وحَمائِمها
بكيتُ ومالجدي عليَّ صبابتي ... وقد فاتني العصرُ الذي كنتُ ناعمًا
ليالي روض الرأس اسودُ فاحِم ... وأغضى على حُبّ السنوار اللّوائما
فاصبحت كهلاً لايجاورني الصِّبا ... نعم وتبدلت القنا والصّوارما
وغارةُ فرسان على ابنةِ مُنذرٍ ... وأقبلة تحكى السُّفَيْنَ الحلائما
وحبذاً وأعراباً امامَ بيوتنا ... مُجنَّدةً والهرقلَين الأعاجما
ولمّا اتانا عن صفية انهّا ... أجارت على كسرى أبحْنا الجماجما
هناك وحَرّمناَ البيوتَ ومَنْ بها ... أبحْنا نفوساً وأحتَمينا المحَارما
أجْرنا على طيب النفوس ومَنْ يُجِر ... اجارةَ عِجلٍ لم يَعُدْ قطُّ نادما
ولو ذهبت ارواحنا وحريمنا ... ولم يبق مِنا في القبائل سالمًا
لانمَ يِرضوا البلاد حلولة ... وقد ايقظوا الهول الذي كان نائما
فلا ندمٌ من بعد تلك ولا قِلاً ... لوقع الظُّبا حزّاً يحزّ الحلاقما
اذا غاب عنّا جحفل جاء جحفل ... يهزّون اسيافاً تحزّ الغلاصِما (٩٩)

وقال مسلم بن زهير الشيباني في ذلك اليوم :

اجرنا ابنة النعمان حرقا وليس مَنْ ... يخاطر على علم من الهول يندم
ولو ذهبت أرواحهم ودماؤهم ... لكان مُباحاً فيه ماكان يحرمُ
فصبراً بني شيبان فالصّبر فيكم ... قديماً وشان الجار فيكم مكرّمُ
وعندكم الكُمت (١٠٠) السّلاهب (١٠١) والقنا ... فحُلّوا لِتردادِ الحقُود وخيّموا

ساتيكُم وِتر الجنود وشفعِها ... يرابع في عقبى الأمور ويحكم
ولابدَّ ان يأتيك كسرى بنفسه ... بداهيته إنّ ذلك معظمُ ؟

---

(٩٩) الغلاصم : وهو اللحم بين الراس والعُنق .

(١٠٠) الكُمت : جمع كميت : اسم الفرس التي لونها بين الاسود والاحمر . والفرس الكميت هو من افراس زيد الخيل «انظر محمد بن كامل التاجي الصاحبي» ، كتاب الحلبة في اسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والاسلام ، تحقيق الدكتور عبد الله الجبوري (الرياض ، ١٩٨١) ١٩٨٥ .

(١٠١) السلاهب : الفرس الطويلة .

الا فأستعدّوا للبلاء وحلوله ليوم تظلّ السمْر فيه تحطمُ
وتُسفِر عن وجه الخباء[102] صفيّةٌ ويَخلط فيه الفرْثُ واللحمُ والدَّمُ
ويَسْوَدُّ فيه كل أبيضَ زاهرٍ وتَزهمُ من غير السّحاب وتَغتمُ[103]
وتَحمرُّ بيضُ الهند في نقباتها وذلك تقدير الذي انا أزعمُ
ألا بالقومي فاستعدّوا لصِمّةٍ[104] وهل لأنو شروان كفوءٌ فيُنعَمُ
اذا ما اتى والأرضُ تشكو رَحيبَها عساكِرهُ والجوُّ شَبْغانُ مُظلِمُ
فليسَ له إلا مَعَدٌّ جميعُها فقوموا اليهم صارخينَ وَقدِّموا
وإنْ لم تقومُوا تَندمُوا بعد هذهِ نَعَمْ وتقولوا قد اشارَ مُسَلَّمُ
فليسَ يلاقي الكفْوَ الا بكفوه ولا يزجر الضِرغامُ إلاّ الغَشَمْشَمُ[105]

وقال الحارث بن قسيم الشيباني في ذلك :

ألاَ طَرقَتْ أسماءُ قلباً مُتَيَمّاً فَهبّتَ اليها شائِقٌ وَمَشُوقُ
ألا تِلك أحلامُ الخيالِ كَواذِبٌ فلا تطمعَنْ إنْ الطّاعةَ زُوْقُ
أسماءُ لو عايَنْتِ يومَ رقيمةٍ لأيقَنْتِ أنيّ ناصِحٌ وصديقُ
وانى لما أمّلت يا أم مالكٍ من الوصل ايّام الوصال خليق
أفي كلّ يوم جَحفلٍ في ديارنا وألويةٍ تعلو ألبقاع خَفوقُ
يريد ابنة النّعمان حَرقاً ودُوَنها تِوادد طعن بودّهنَّ حريقُ
نحُوطُ[106] بضربِ البيض جارةَ أُختنا ونسموا على كلّ الورىٰ ونَفُوقُ
نَشُبُّ ونصَلاها وتعلو كماتُها نَذوُدُ جَمُوعاً عُجْمَهُا وَنَسُوقُ
ونَحنُ لَعَمْري الفائقُون بِضبرِنا لِداهيةٍ تنتابنا وسروقُ
لها كلّ يوم عارِضٌ وهو مُمْطِرُ لَه أرْعُدٌ في ارضنا وُبُروقُ

---

(١٠٢) الخباء : جمع أخبية ، ما يعمل من وبر او صوف ، وشعر للسكن .
(١٠٣) تغتمَ : من التغتم مصدر الغبار ، والقتمة الغبار الأسود غبار الحرب .
(١٠٤) الصمة : من صِمّ الشجاع ، والأسد ، ورجل صِم ، اي مصمم ، والمصَمّم الثابت الماضي في الامور .
(١٠٥) الغَشَمْشم : اي الشجاع الذي يركب راسه فلا يثنيه شئ عما يريد .
(١٠٦) يحوط : منَ حُوطَ : اي حفظه وتعهده ، وفلان يتحوط اخاه حيطة حسنة يهتم باموره ويتعاهده .

تروح وياتي بعدها ريح حرجف[107] وفيها ضياء ساطع ونفيق[108]
طِمَاطِمٌ[109] عُجُم خَرَّبَ اللهُ دارَهُمْ ومنصورٌ فيهم صاحبٌ وصديقٌ
على أننا أَوْلَى الأنام بنصره فلو أنه فيما يُريد خليقٌ

وقال عمرو بن ثعلبة الشيباني في ذلك اليوم :

جَنَيْنَا فصبراً للجنينة انّما أجَرْنا التي قد طُرِّدَت في الاعارب
فأُقْسِمُ لاقامَتْ لها العُرْبُ بعدها ولو جُمِعَتْ من شرقها والمغارب
فقد صرتُم للهَوْل والهَوْل فيكمُ مقيمٌ فلا ادرى بتلك العواقب
سوى اننا نُلْقِى ونُفتِنُ دائباً لأبداء عُذر منَ مَلامة صاحب
ستاتيكمُ من بعد هذا كتائبُ كمثل الدّبا اوكاتّباع سحائب
وقوم يريدون النكاية فيكمُ مُلَبَّسَةً في السّر وفوق المناكب
تَقَبٌّ[110] تهافاً بالحديد حَسيكها[111] عتيقات سامي السعير[112] النقايب[113]
بني فلا يغرركم اليومُ من غدٍ وزيدوا هُديتمْ في علوق[114] السلاهب[115]

فليسَ انو شروان كسرى بعاذرٍ لحيّ بني شيبانَ من كل تائبِ
ولا الشيخُ منصور بعاذرٍ نَفسهِ عن الكَرّ والآداب ليس بغائبِ

(١٠٧) وردرت في الأصل «حرحف» : آما الحرجف فهي الريح الباردة . قال الفرزدق !

إذا أغْبَرَّ آفاقُ السماءِ وَهتكتْ
سُتُورَ بُيوتِ الحَيّ ، نكْباءُ حَرْجَف

«ابن منظور لسان العرب ، ج ٩ (بيروت ،)٤٥ .

(١٠٨) نفيق : من النَفِق ، وهو السريع الانقطاع من كل شئ .

(١٠٩) الطِمْطِمِيّ ، والطُمْطماني هو الذي في لسانه عُجمة .

(١١٠) قبّ النبات : اي كيُس .

(١١١) حسك : من الحَسكة ، والحسيكة ، والحُساكة : اي العداوة والحقد . وهنا تأتي بمعنى القضم حسك الدابة بمعنى قضمت الحب .

(١١٢) سَعر : سَعَراناً الفرس : اي عدا عدواً شديداً .

(١١٣) من نقب نقبا وهنا الفرس جمع قوائمه في العدو .

(١١٤) علوق : ما يعلق به ، اي شديد التعلق والتمسك .

(١١٥) السلاهب : اي الطويل ، وإسلهبّ الفرسُ كان سلهباً .

فـأيا لها ذو حـاجـتـيْن كـحـاجـةٍ ولا رائح فيما تـــرون كـــعــــارِب
وانيَ لـــــــدارٍ في الامور مجرّبٌ خـبير لـعـمـري بـالـعـروق الضَّوارِب

وقال عمرو بن ثعلبة الشيباني في ذلك :

اَجَرْنـا ابـنَـةَ الـنُعمان وَيكْكَ وَمَنْ يُجَر يحلّ على ضَوْءِ السّماكَـيْن والـنَّسر
يـبـيـت قـريـر الـعين يُصْبِحُ آمِـنـا ويَـحـلـو لَـهُ دَرُّ الـلـقـاح مع التَّمر
وكـيـف يـبـيـتُ الجارِ عـنـدي مـروّعاً وقـد حُـطْـتـه من كـلّ نائبةِ ألدهر
أَقـيــهِ بـأفـراسي وخَـيْـل بني أَبي وأُفـدي بِصـدري مـايحاول مـع نحري
فـطـيبي إبـنَـةَ الـنُعمانِ نَفساً وخَيمّي على شَعْـفـات العِزّ أو يَنْقَضي عمُري
أحُوطَكِ من كسرى وأكسُـرُ جُـنـدَهُ ودونَكَ عَـدْوىٰ بـالـمُـثْـقَّـفةِ السُّمر
سَنُولـيك مـانولي صـفـيـةُ أُخْـتِـنـا مِن الـعـزّ والاكـرام والفضلِ والبشـ
بلا مِـنَّـةٍ مـنّـا عـلـيك لـتـقـتَضي بها مـنّـةً أُخـرىٰ لـنـائـبـةِ الَدّهر
وانّكِ بـعـد الـيوم غَـيـرَ فَـقيرةٍ أُجـيـرُكِ من شرّ الاكـاسرِ والـفـقـ
لك الأَلـفُ من سُودِ الـلقاح وزَهْرِها نَـعَـمْ وكِـبـارٌ من عِشـارٍ ومن حُمْـ
بِـرُعْـيـانها تـأتي الـيكِ وأنـهّـا تمامَ السّجـايـا واجـبـاتٌ على الـجُـ
وعـنـدي لها الـعـزّ الـرفيع مع الوفا وعـنـدي لها الاكـرام في سَاعـة العُسـ
ولستُ أُبـالي ان اكون وقـــاً لها إلىٰ يوم أُثوىٰ في مُـغَـيـبَّـةِ الـقـبـ
اَبى اللّهُ بـعُـد الـيوم تُـدُعـىٰ غـريبـةً وقـد ضـمّـها في ساحتي يافتى حِذْرـ
كـذلك بـعـد الـيوم ما شِئت فاطلُبي ونـادي إذا مـارُمْت شيـئـاً الى عـمـ
فـانَكِ عـنـدي في السلامـة والـعُلا وأنِكْ في حسن الحديث مـع الـذكـ
وَمَـا الجار إلاّ بـالمكـارم نـازلٌ وَيـرْحَـلُ بـالمعروف مِـنّـا وبـالشّـ
ألا اَبْـلِـغـا كسرىٰ مَـعـاً وجـنودَهُ بـأنَ إبـنَـة الـنْعمان في الحيّ من بَـ
على خير حـال في السّلامـة والـعُلا تَـبـيـتُ على بَـرِّ وتضحى على بـ
ولـو سرتُـم لي بـالخليـج لأجـلـهـا ركـبـت بُـهـا فوقَ السّفين على البحـ
ومـا سُفْـنَـنـا غير الـقـواضب والقنا إذا مَـارَكـبـنـا فوقَ مِغورّه ضُـمْـ

قال بشر بن مروان الأسدي : وان عمرو بن ثعلبة امر لأشراف قومه فحضروا اليه فسألهم الركوب معه الى شهاب بن نُويرَة التَّغلبي فلما وصلوا اليه استقبلهم شهاب باحسن القبول وامر ان تُعقر لهم الكُوْمُ[116] من الابل على عدد القوم ويصيح في الناس انها مباحة للقوي والضعيف فعل ذلك كرامة لقدومهِ عليهِ ثم قَراهُم من لحوم مسمّنة الكِباش والدّقيق وسقاهُمُ الرحيقَ[117] واقامُوا عنده عشرة ايّام ثم كَشَفَ له عمروٌ عن حاجته وأنه قد وَعَدَ الحَرَقَةَ في شعْره بألْفِ راحلةٍ من خِيار الأبل وسأل شهاباً الرّكوبَ معه لَيْختَارَ لها من إبله لفِ راحلةٍ فَأوْجَبَ شهابٌ سُؤالَهُ وركب معه في جماعة من اكابر قومه فيهم أبُو جدَابَةَ ، كانَ نقيباً في العرب فوصل عمروٌ وشهابٌ وابو جدابة وجميعُ اصحابهم فأمر لهم عمروٌ قباء فَضُرِبَ ثم أقاموا عنده حتى قضى من كرامتهم وَطراً ثم وسطهم عمرو في نُعَمه وشهاب يز من كل ابل خيارها حتى استوفى لِلْملكةِ الفَ راحلة من خيار ابل عمرو وأتْبَعُها من رُعاء مايكفيها من العبيد والاماِء ثم أمَرَ بها عمروٌ الى الملكة وأعْلَمُوها بالقصّة وبقيَ مع عمرو اراذِلُ إبله فَزَعم الثِقّات من اهل هذه السيره إن إبلَ عَمْروٌ بارَكَ اللهُ فيها حتى لم سَعْهَا المسارِحُ وذلك ان عمرو بن ثعلبة بعد ايّام ذي قار توسم موسم عُكاظَ في رجال من مه وواجه رسول الله صلى الله عليه وسلم[118] فتبسمَ في وجهه عن محبّةٍ ورغبَةٍ في دينه تحدّث معه حتى طَوَّلا في الحديث فمن ذلك دَعَا له النبي صلى الله عليه وسلم بالبركة في ابله كان عمروٌ يُرْفِدُ منها ويَعْقِرُ لضيفه ولا تزدادُ إلا ثروةً وبركةً ، قال بشر بن مروان ثم ان صور بن عمرو الغسّاني لمّا وصل الى المِلكِ مَهْزُوماً وقد قُتِلَ من عسكره من قُتِل فغمَّ ك المِلكٌ وهَمَّ ان يَخْرُجَ بنفسه الى بني شيبان بجميع عساكره واراد ان يَرى رأي لميح فوجه اليه فحضر فقال له يا طميح قد جُلَّ الخَطبُ في هؤلاء فما الرأيٌ عندك قال

---

١) الكوم : جمع أكوام وهي القطعة من الأبل .

١) الرحيق : اي الخمر الصافية .

١) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم ومنها موسم سوق عكاظ ويكلم كل شريف قوم ، وممن عرض نفسه عليهم بني شيبان بن ثعلبة ، وكان في القوم مفروق بن عمرو ، وهانئ بن قبيصة ، والمثنى بن حارثة الشيباني ، والنعمان بن شريك «انظر التفاصيل في ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٣» (بيروت ، ١٩٣٢) ١٣٨ - ١٤٦ ولم يرد في اسماء وفد شيبان عمرو بن ثعلبة ، كما ورد في المخطوط .

الرأي ان توجه اليه رسولاً ناصحاً اميناً يتصفحّ القوم ويكثر الاقامة عندهم ويسأل هل يفدهم احدٌ من العرب غير ابي جدابة فان كان ذلك عرف من هُوَ وان لم يكن سواهم بعث منصور في ثلاثين الفاً فوافقه الملك على رأيه وقال له عليَّ مَن قومك برجل ترضاه ممّن يَعرفُ العرب فأتى الطميح برجل من قومه فأوْقَفَهُ بين يدي الملك فاعطاه الملكُ عطيّة يرضاها واحسَنَ اليه ثم انّهُ أوصاه لما ارادَ المسير ولم يُوضِحِ الطميحُ للرسول غيرَ النصيحة للملِك وانصرف الرسول لشانَه وجلس الطّميح عند الملك الى غروب الشمس وخرج من عندِ الملك فوجه الى بني شيبان رسولاً ثقة من خواصهِ فقال له تُحِثُّ في سَيْرك حتى تسبقَ الرسول الذي من قبل الملك الى بني شيبان وتَنْزِل بعمرو بن ثعلبة وتُقريه سلامي وتُخبِّره بالرّسول الذي أُرسل من قِبَل الملك ومن أيّ شيءٍ أُرسِلَ فَيُغَيِّبوا جيادَ خيلهم وَبعْضَ رجالهم ويأمر الى شهابَ بن نويرة من يعلمه بخبر الرسول ليأمر اليهم ابا جدابة في قلّةٍ من خيلهِ وقباحة في زيّه ويحل قريباً منهم طول اقامة رسول الملك فإذا جاءهم رسول الملك فَلْيُرفِقوا به ولا ينكروهُ ، ويعاشرونه معاشرةً جميلةً وُيكرموا مَثواهُ ولا يسألوه من اي موضع قَدِم ولاعن حاجته ماهي ليَطمئنَّ بهم وليَقْضي عندهم من الأَقامةَ وطَراً ويرجَع الى الملك بتَهْوين الأمرَ فيهم وَعلّم رسَوله طريقاً يعدل فيها عن طريق رسول الملك فتوجّه رسوله وسارَ سيراً حثيثاً حتّى سَبَقَ رسول الملك الى بني شيبان وأقرأهُم سلامَ الطُمَّحَ وأبلَغَهم رِسالته فوجهّوا الى شهاب فاخبرُوُه فبعث اليهم ابا جُدابة في عجف من الخيل ورثاثة من السلاح ورجال من ضعفاء قومه فانضّموا قريباً من قومه ورتبّوا للرسول الترتيب الذي رسم للطّميح الايأدى وقدم عليهم رسولُ الملك بعده فنزل بعجوز منهم كالضيف المسافر فقدَّمته واكرَمتْهُ وشكىٰ اليها المرض فقالت له أَقِم عندنا مرحباً بك حتىَ تبرأ من سَقَمِكَ ثم اغدِ حيث شِئت فاقام عندها على البّر والكرامة يَسأَئلها عن قومها وعدد خيلهم فقالتْ هؤلاء قومي وهذهِ خَيْلُهم تَراها قُدّام عَيْنيكَ وسألها من أَمَدّهُم في وقائعهم قالت رجل من عشيرتنا تغلب يقال له ابا جدابة فسألها عن موضعه فأومت له الى مكانه ، وكان يغدو ويتصفّح قومَهَا ويرجع اليها فاقام يتأمّل قومها يوماً بعد يوم وهو لا يرى قوة موجبة فاطال الاقامة فلماً طال مكثه عندهم ولمَ يَرَ غيرَ الذي يراه شدَّ على راحلته وودَّع العجوز وأنصرف راجعاً الى الملك فلّما وصل نزل الى الطميح اولاً فسأله وأستبحثه كرجل لايعرف ماتمّ فهوَّن امرَ بني شيبانَ وأمر أبي جدابة فاطرق الملك مُفكراً في امر بني شيبان وكيف

يهزمون الجنود كرة بعد أخرى وهُمْ في قِلّةٍ من العدد ثم رفع رأسَهُ الى الطميح فقال ياعجبا من هٰؤلاء شرذِمَةٌ قليلون كيف يهزمون الجنودَ مرّة بعد أُخرى فقال الطميح انهّم يقاتلون دون اموالهم وحريمهم وجارتهم وليسَ مَنْ يقاتل عن مثل الذي يقاتلون عليه ينوي فرارا فاجمع راي الطميح ورأيُ الملك أنْ يُخْرِجوا لهم ثلاثين الفاً فأخرَجَ المَلِك منصورَ بن عمرو بثلاثين الف فارس وسارَ فيهم ثم انّ الطميح قَدَّمَ الى بني شيبان رسولاً ينذرهم ويخبرهم بعدد القوم ويأمرهم بالصّارخ في عشائرهم فلما جاءهم النذير اوقفوه بين يدي صفية واستشاروها في امر الصّارخ فكرِهت صفية ذلك ثم ان القوم استعّدوا للصّباح ولزموا مضايق الطريق هُمْ ومَنْ مَعَهُمْ فَصَبَّحُهم منصور في جيش لجب عظيم .

ذِكرُ الوقعة الّرابعة بين بني شيبان وجُند كِسرىٰ

قال : وان القوم لما قَرَبوا من بني شيبان خرَجَوا عليهم من المضايق وكان الجند قَصدَهم كتائب متشعّبةً فاستقبَلتْ كل فُرقة من بني شيبان فرقة من جند كسرى فالتقىٰ القوم وكان اوّل من هَزَمَ مِن قِبله عمروُ بن ثعلبة ومَنَ معه ثم ابو جدابة ومن معه وكان من فرسان الخيل ثم أرْدف الرَّجُلان من قومها فوَلىٰ جند الملك على اعقابهم لَا يلْوي بعضهم على بعض ومنصور بن عمرو يدعوهم في آخرِهم هو ورَهطُه فصبَرُوا صبراً حَسناً ثم كُسِرُوا وولّوا خَلفَ اصحابهم بعد قَتلٍ وجُرْح ثم انّ منصورا ورهطهُ لم يدخلوا مدينة الملك . قال : ثم ارسل منصورٌ الى الملك يشكو اليه جُندَهُ فحَنَقَ الملك واحمَّر وجْهُهُ من شِدة الغضب فأمَرَ بأَخْذِ خيلهم وسلاحهم وسجن منهم طائفة ثم أخرَجَ معه اربعين الفا من غيرهم وسارَ فيهم منصور بن عمرو ، قيلِ ان الطميح قدّم اليهم رسولاً يُعْلمهم بعدد القوم وبأخْبارِهم .

ذكر الوقعة الخامسة بين بني شيبان وجند الملك

قيل ، وان بني شيبان لمّا جاءهم رسولُ الطميح بانّ الملك سَيرَّ اليهم منصور بن عمرو في اربعين الف فارس فحينئذ وَطنّوا انفَسَهُم على الهلاك واستعدوا له وان منصوراً اوجس في نفسه انه يُنْذر به وبمسيره اليهم في كل كَرّةٍ وذلك انّه كلما قَصَدَهُم اتى وهم حَذِرون

فسار في سفره ذلك سيراً رفيقاً فاراد ان يأتيهم على غرّة وكان يُقيم في طريقه بين الموارد اليوم واليومين وقدم في أوّل خيله وجند خيلاً من مقاتلتهم . قال : وان بني شيبان استعدوا وكانوا كل يوم ينتظرون القصد والصّباح فلم يأتهم أحد فعجبوا من ذلك عجباً شديداً وفكروا في امره فعلموا انه يريد مكرَهم واراد ان يُملهّم الاستعدادُ ويدخل فيهم التّواني ويأخذَهم على غرّةٍ فعند ذلك ركب عمروُ بن ثعلبة في فرسانٍ من قومه مُنْتَدَبةً من صناديد قومه على اوّل مرّة وساروا حتى صادَفوا في طريقهم خيل منصور التي قدّمها فواقعهم عمرو واصحابُه واقتتلوا ساعة وانهزمت خيل منصورا واتبعها عمرو حتى أشرفت على السّواد فلقي عسكراً هائلاً واقبل على اصحابه وقال لهم ارجعوا الى قومكم فأنذِروُهم واستعِدّوا للصيّاح وانا اتخلّف وآتي في اول القوم فانصَرفوا عنه وتأخّر فبات حول الجند ينظر فيهم ويحمل على اقطارهم ثم ان منصوراً لما أصْبح عبّا عساكره وصَبّح بني شيبان فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً حتى مال الضحّى وافترق الحيّانُ وبرز عَمروَ بن ثعلبة ونادى ببراز منصور بن عمرو ، فعند ذلك صاح منصور بالجملة وحملوا على بني شيبان فجالَت فُرسان شيبان جَوْلةً قبيحةً وصَبرتْ فرسانهمُ المعدودةُ في الكتائب مع عمرو بن ثعلبة وثبت ابو جدابة ومَنْ معه من فرسان قومه من تغلب ولم يُولّوا دبراً وأَشرفتَ صفيّةَ على قومها فعطفوا واقتتلوا ساعة مليّة وأفترقوا . قال بشر بن مروان الأسدي : ثم ان عمرو بن ثعلبة برز بين الصّفّين ونادى ببراز منصور فبرز اليه وقال يا عمروُ إنّك لَفي غِرّة من عَيْشكَ وميعةٍ من شبابك وغَرّك من المرة الاولى ماغرَّك فسترى مني عجبا وصبرا حسناً ، فقال له عمرو والله ماحُطْنا إلاّ حريمكم ولا حمينا الاّ ذماركم وقد كان غيركم احقّ بهلاكنا وانتم احقّ بنصرنا ثم لابُدّ من الاستقامة والخروج من الملامة فعند ذلك حَمل كلُّ واحد منهما على صاحبه كالأسَدين المُغْضَبين واقتتلا قتالاً شديداً وافترقا عن حالا سلامة فانشأ منصور يقول :

انــا أفــرس الـفُــرسان والابـطــال	وأعْـرِف الهيـجـاءَ وَالـقِـتـالا
واحـكـم الـطـعـان والـنـزالا	مُشـمـرّاً اركبُ الاهوالا
سوفَ تـرى يـاعـمـروُ مـنيّ حـالاً	حـالا كـريهاً نـائلاً مَـنـالا

فاجابه عمرو بن ثعلبة يقول :

اصـبـرَ سَتَـلـقـىَ بَـطلا قَـتَّـالا   يَسْـحَبُ من مضـعـفـه أذيـالا

يـغشى الوغـا ويـركُب الأهوالا   وفي الـلـقـاء يُـغضِبُ الـرِجّـالا
بهزٍ[119] صـاف حـدُّهُ صـقـالا   والـزاعِبُ المثـقـف[120] الـعَسَّـالا[121]

ثم انّ الرجلين تعاطَفا في الحَملة واقتتلا قتالاً شديداً واختلف بينهما ضربتان سبقه منصور بالضربة فاخذها عمرو بالحجفة[122] فانثنى سيف منصور وعطف عليه عمرو بالضربة فاتقى منصور بالحجفة فقدّها بِصفين والبيضةَ والرفائد وفَلَقَ هامته ونادى ابو جدابة بالحملة فحملت خيل ابي جدابة وخيلُ بني شيبان على السّواد فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزم جندُ كِسرى اقبح الهزيمة وأُقتلع الحيَّان من تَغلب وشيبانَ من الخيل والفيلة والسلاح جزيلاً وراح جند الملك ، فلما اصبحوا انقلبوا الى حلال بني شيبان وطلعوا عليهم فحينئذٍ ترجلّوا عن خيولهم وقادوا بأرسنها لِتطْمَئنّ بنُو شيبان ثم سألوا عن خِباء عمرو بن ثعلبة فأتوهُ فاستَقبلهم باحسن القبول ووضعوا ايديهم في يد عمرو وأجتمع اليه اشرافُ بني شيبان واعتذروا الى بني شيبان وقالوا يا بني شيبان اليكم المعذرةُ من سُوء فِعلِ منصور فبالله لقد احتويتم على فعل المكارم وحَميتُم المحارمَ وأجرتم علىٍ من لم تُجِرهُ العربُ فاصبحتم معروفين بفعلكم مذكورين بفخركم جيلكم عال وجَدّكُمُ مُتعال ولقد كنّا احقُّ بنصركم غيرَ انه غَلَبنَا منصور بلجاجةٍ فكرهنا مَنِيّته بايدينا فانتظرنا فيه سُوء فعله فحاق به عمله وَخَبَّه وبالله لولا حريُمنا واولادنا عند كسرى رهائِن بالنصيحة لما فارَقناكم بعد اليوم ولقاسَمْناكم الموت والحياة فليس عاد اليهم من رَجْعة بل نُلحِقُ بقومنا وملوكنا من بني جفنة ونرجوا ان شريف بني اياد يشفع بحريمنا ويخرجهم الينا وأنّ عمرواً اكرمهم واقاموا عنده ثلاثة ايّام ثم ودّعوه

---

(١١٩) بهز : اي دفعه بعنف وغلبة .
(١٢٠) المثقف : من ثق الرمح اي قوّمه وسوّاه ، وتأتي بمعنى الحذق والخِفة وهو المقصود هنا .
(١٢١) العسال : الذئب او الفرس ، الذي هزّ راسه في مضائه .
(١٢٢) حجف : يقال للترس إذا كان من جُلُودٍ ليسَ فيه خشب ولا عقب ، ومفردها حجفة .

ولحقوا بقومهم فبلغ كسرى عملهُمُ فامر بخيلهم وحريمهم ان تقبض فشفع لهم الطميح فوهبهم له وجهزهم الطميح باحسن الجهاز وحملهم الى رحالهم . قال بشربن مروان الأسدي : ثم ان ابا جدابة لما رجع من غارته يريد اهله وذلك ان أُمَّهُ غَضِبتْ على بني شيبان في قتل اخيها شَغِثم الأصَمْ وَوَجدتْ عليه اشدّ الوجد ونظرت الى نصيحة ولدها لهم وحسن مناصرته فعظم ذلك عليها وضاق بها الحال ، وانما كانت تريد ان تكون ثائراً مع كلّ من يقوم عليهم فمن اجل ذلك تحولت من الموضع الذي تركهم به وزوجته النَّوار وغلمانه وقيانه الى اخيها مالك بن ابان ونزلت عليه وكان يومئذٍ مُنفرداً في بني اخيه شعثم الاصمّ وُهُم أحَد عشر رجُلاً على ماء من مياه فُودةَ فلما وصل المحل الذي له وَجْدُه دون غيره وهو خال من ماله واهله ، وكان ابو جدابة داهية من دواهي العرب قال صاحب الحديث انه جدّ في سَيْره يريد اللحاق باهله فلَحِقَهم بعد ذلك وانشأ يقول :

اتـغضب امّي انَ نصَـرتُ عشيرتي ... سُراةَ بني شيبان اهل المفاخر
عِلى قـتـل خـالي شعثم وعُـمُـومَتي ... عُـبَـيـدٌ ومنصور وزيـدٌ وجـابـرُ
فلا تـغضبي يـانُوكُ[123] ثم تـذكـري ... قُـتـبالأُهـم في رَمْس تـلك المقابِـر
ألسنا قَـتـلنـا مـالـكـاً ومـنِـبِّها ... وعـمـرواً ومـروانـاً وبـكـربن عـامر
ومصعب مع زيد السّواديّ بعدَهَم ... حُماة بني شيـبـانَ أهـل الاوامـر
فـكـم مِن قتيل تحت اسيافهم لنا ... وكـم من صريع منُـهم في العشائر
فـان كـنـت اكـالاً لِـلَـحـم بني ابي ... فـلستُ بـمُـهـديـه الى كـل جـازر
ولـكـنـنيّ أحْـمـيـه عن كُلّ آكلٍ ... باكمُت[124] ورَديٍّ ورمح وباتِر[125]
وعَـدْوِ واقـدام وَبـطشِ وعَـزمـةِ ... وغـرٍّ وتشـمـيـرِ وقـلبِ مُـخـاطِـر
فلا وابي وامىّ وخـالي وعـمـي ... اخَـلّي بني اعمامـنـا للأكـاسر
وألبسُ ثوبَ الـعـار فيهم مُنخـرقاً ... وُتُـذكـرُ في البَـدْوانِ بـعد الاحاضر
أعوذُ بـربي من قـبـائح فـعـلُ مَـنْ ... يُـعَـنِـفُـني في نَصْر قومي الأخيـار

(١٢٣) النُوكُ : بالضم الحمق .
(١٢٤) الاكمت : لون الفرس ما كان بين الاسود والاحمر ، واكمت تصغير «كمت» .
(١٢٥) وباتر : اي السيف القاطع .

انّ الرّجل السامي إلى كلّ خِطّةٍ　　من المجد تعلو للنجوم الزّواهر
اذا لم أصن عرضي وجاري وساحتي　　فأيّ احلام يا نوار لعابر
ألامُ على نصري لشيبان انّما　　أردتُ لحاكِ الله جَدْعَ المناخر

ثم أنّ ابا جدابة لما قدم على خاله وماله قال لخاله ماشأن اختك وابنة أخيها قال انها شاكية منك ثم قال نادِ لي يا غلام بولدي سنان فلما دعاه اقبل اليه وسلّمَ على أبي جدابة وحيّاهُ بالتحية البالغة ثم قال له ابوه أنشدنا شعر عمتك فأنشأ يقول :

بئسما رَبّيتُه من ولد　　قد رَجَوْتَ النصر فيه والظفر
عاقَهُ مقدورُ سُوتر فانثنى　　وارْتدى بالعار والرأي الأشر
قبّح الله لباني[١٢٦] انّه　　كَلِبانِ البكر من بغل أغرّ
ايُّها الناس أفيقُوا وانْظُرُوا　　فلقد جاء بامر مشتهَرْ
قاتِلُ الاعمام والآخوال له　　الجاهِلُ في الدهر في هَتْكِ النّفر
معشرٌ منهم ضرار وابنُهُ　　ويزيد ونُقيع وعَمر
لا سقى الله أراضيهم حسّادُ　　ولسيدي غاله سوء القدر
وتقضّى أمَلي منه ولا　　عاشَ في خيرٍ ولا قضّى وَطَر
وشهاب قد صَبا فيمن صَبا　　ليس عمرى فيه سَمْعٌ وبَصَرْ
يضع المعروفَ في غير اهله　　ويُحَلّيّ الدّهرُ حيناً وحجر
كان جسّاسٌ وقد اَهْدى له　　في كلَيْب عِمّه ضَوْءَ القَمر
فبنو شيبانَ خلصانَ له　　اهل نُصْحَ وصفاء مشتهر
فلحاهُ الله عَنيّ رَجُلاً　　ورمى إبنيّ بسهم من وتر

---

(١٢٦) اللبان : اي الرضاع .

قال ثم انّ ابا جدابة لما سمع شِعْرَ أمّه غضبَ حَتى كادَ انْفهُ يَتقَطَّر دَماً ثم قال يا خال ارضيتَ ان قَالَتْ أختُكَ في شهاب ما شاءتْ حتى رَدَّت رُؤيته ولدك اماً فيّ فَمُحتَمل وأما في سيّد عشيرتنا فبالله لا زلتُ غضبْاناً عليك وعلى اختك وابنة اخيك وعلى إبلي وغلماني وأفراسي وقياني التي ضموّها اليك لشان غضبي عليهم ثم قام الى جواده وكره ان يأكل لخاله طعاماً فقام اليه خاله فزعاً من سُوءِ رأيه ثم صار يعتذره وقال ما الذي يُرْضيكَ منّي وابنةِ أخي فأبَلّغكَ اياه وأماَ أمُّكَ فانت أولى بها منّي فقال ابو جدابة خلِّف الاعتذار وغيره حتى يَنْصَرِم من أحوال كسرى ماَ يَنْصرمَ ونهنّأ باخواننا ونعزّ عشيرتَنا وَانَا أقْسِمُ بالله لارَجعتُ عن نُصْرَةَ بني شيبان ولنِعَم الرأي جئتَ به انا وشهاب وسوف ترى انتَ واخوتك لمن تكون حميدُ العاقبة وَحَرّمَ على نفسه الا ياكل طعاماً ، قال : فارْتَحِلْ بفَرسِك ومالِك ودع اختي عندي قال : والله قد تركتُ اختك وُعرُسْي ومالي وخلفّتهم وراء ظهري حتى ينصرمَ امر كسرى وتنجلي غمامَتُه ثم ولىّ عنه على نَدَمٍ عظيم وتوجَّه الى أخيه شُمير واقام عنده على الكرامة وهو يسأله ما الذي فَرّقَ بينك وبين اهلك وابو جدابة لا يخبره بشيْ فلمّا اكثر شُميرٌ مُراجَعَتَه قال لعلّك تريد ارتحالي عنك وانا افعل ذلك فوثب شمرٌ الى اخيه ابي حدابة ولثم راسه وقال يا أخي هل عرفت منيّ قبل اليوم جَفوةً قال اللّهم لا قال فِلم قُلتَ لي ما لا أعْرِفُه منكَ قال لتردادك في سؤالي ولم يُرْدعِكَ إعراضي عن الجواب قال شميرٌ وهو شفيقٌ بأخيه ابي جدابة فقال والله ما فعلْت ذلِك الاّ للاستراح باهلك ومالك وليسَ ينفعك منه شيْ وكَثُر تَعجبّي من الشيْ الذي حال بينك وبينهم فاجابه ابو حدابة وانشأ يقول في ذلك :

يُـــلومونني اهلي وخـــالي بـــانّني ... أظـاهِـرُ شيـبـانـاً أخي ثم انْصُرو

وكيـف بقـانـا بـعدهـمَ يـاَ ابـن والدي ... إذا كُسِـرُوا فـالّـتـغـلـبيّون يُكْسَرُوا

ألـيْسُوا بني أعمامـنـا وسُيُوفـنـا ... إذا غَـدَتِ الاعْـرابُ والخيـلُ تضُـمَـرُ

ألَيْسُوا على السُّلان[١٢٧] ظَلْت سيوفُهُم ... لأعـنـاق أعْـدائـنـا تَـحزُّ وَتَـبْـتُـرُ

ولم يـاخُـذُونـا قومُـنـا في جَـريـرة ... بَـدَأنها بها والخيـرُ والشَـرُّ يُـذكَـرُ

---

(١٢٧) السلاّن : من الأسْلان ، وهي الرّماح الذُّبّل.

لـيـالـيَّ احْـرِمْـنـا وكـادت ذنوبُـنـا — بـنـا تـكـتني لولا بـنـو العـمّ شَمرّوا

ونحن فما يَـرْبُو عـلـيـنـا بسُّـبـةٍ — وان قَـتَـلُونـا قومُـنـا لا نُـعَـيَّـرُ

ولـكـنـا أمّـا قُـهِـرنـا بـغيرهـم — نُسبُّ وان نُـرِمْوا بـغيريّ نُشـهَـرُ

فلا وَهَـنـتْ شيـبـانُ قومي ولاَوَنتْ — ولا كـان عـيشي فيهـم يَـتـكَـدّرُ

اولـئك إخواني وقومي وُعِـدّتي — وركُـنـي ورُمحي والـحُـسـامُ المشهَّـرُ

واما شهـابٌ فـهو فـارسُ خَـيْـلـنـا — ومولى عشيري والـسِّـهامُ المُنَصَّرُ

ونحن بـه نَسْـمُوا على كـل حـادث — ونَـعْـلوا على الأعـراب طُـرّاً ونَـفْخَرُ

بـه الـعَـربُ اعـطِـيـنـا ازِمَّـةَ أمْـرِنا — وقَـهـقـرَكـلبٌ دُونـنـا ومُـعَـكَّـرُ

ونحن بـه قـد نـال ثـاقب غـارةٍ — مُـلَـمْـلَـمَـةٍ والترك في الـدّور تـنـظر

قال وانّ شِمْير لما سَمِعَ شِعَرهُ عِلم ان ذلك من امه وانها قالت فيه وفي شهاب وقد رضيه خاله فقال اما قول امّك فيك فحتمل فما بال شهاب ورضى خالك بذلك خاب رايه لم يَرْضَى حتّى رواه به ولدهُ وأيُّ عيشٍ لنا بعد بني شيبان وأيُّ فخر لنا ولهم اوعار فما يذهب بيننا وبينهم ذلك لو كان من عُرْب ثانيةً لكان الغالبَ يفتخر بغلّبه والمغلوب يُعيَّر به وبالله لاتركنا مناصّرةَ بني شيبان على العجم ولا أهْملنا الأهل لكسرى فأما لعّزٍ دائم او لذل قائم ولابد من الاجتهاد والطعن والطّراد فلما عَرف شميرٌ ما قصّهُ عليه أخوه زوجّه بعَفراء ابنة عمرو وكانت من أجْملِ نساء تَغلبَ وامهرها شميرٌ من ماله وساق له نصف رعيته ونصف غلمانه وقيانه وقادَ له نصف خيله بشكومها[١٢٨] وجاور اخاه شميرا في ذلك الحيّ قال بشر ابن مروان الاسديّ : انه لما بلغ كسرى قتل منصور وخروج اخوته وبني عمةّ الى عشيرتهم ازمع على النهوض بنفسه الى بني شيبان وامر بصوائحه في مدائنهم ان يستعدّوا للخروج مع الملك لربيعة وغيرها مما يليها من قبائل العرب ، وكان الملك اذا اغزا قوماً دَكّهم دكاً وتغنمُ عساكرهُ من الاموال والسّبايا . قال رواة هذه السيّرة ان كسرى جمع قوّاده واستغضبَهمُ على بني شيبان فعصبوا وجدّ عزمهم على الاستعداد واكثار الزّادِ واقاموا في الة الغزو وما يقوم بصلاح السّفر والحرب في العدد والركائب والخدم .

---

(١٢٨) بشكومها : الشكم : اي اعطاه وجزاه .

والزاد والمُبلغ فعند ذلك أشفقَ الطُميح على بني شيبان ومن يليها من تغلب وغيرهم من العرب ، فأنشأ الطُميح يقول :

كيف إحتيالُ طُميح في عشائره ... والخيلُ تُحشَدُ والازواد والعُدَدُ
جندٌ عريضٌ يُغطي الأرضَ ليسَ له ... في الارض حدّ ولا يحصى له عَدَدُ
مُسْتنصِرٌ لم يَصِرْ يوماً الى أحدٍ ... لا أبادَ ولا يُقوى له أحَدُ
يا عينُ فأبكي بني شيبان قاطبةً ... أهْلَ الحِفاظ فَنِعْمَ الرُّكْنُ والسَّنَدُ
وابكي بني تغلب الغلباء قومهُمُ ... قاموا لكسرى وأيْمُ اللهِ أوْقَعدوا
ما يَصْنعونَ إذا قاموا لداهيةٍ ... وأختها لا تسعها الغَوْرُ والنَجَدُ
جحافلَ كالبحار الزاخراتِ اذا ... ما هَزَّ امواجَهَا الأرياحُ والرُعُدُ
قَدْ جُرِّبت في جميع سَطْوتُها ... فلا تُردُّ ولا تحذر لها صَعُدُ
يا لهفَ نفسي من شيبان ما كَسَبَتْ ... ايديهُم لَيْتَهُمُ يُرْدون ما وَعَدوا
أبلِغْ نِزاراً على نأيٍ وَقُل لهمُ ... قُوموا لكسرى ولا يبعدكم القند[129]
ماذا أدبِّرُ من رأي يُفيدُهم ... من شرِّ كسرى ولو ازمعتُ أجتَهِدُ
أبلِغ مَعَدّاً لحاها اللهُ ان قَطَعَتْ ... شيبان اوقَعَدوا عن تلك وأتأدوا

ثم ان الملك لم يوقت لهم يوماً معلوماً فأرادَ الطُميح ان يستعلمَ الملك عن ذلكَ ليأمر الى بني شيبان بخبر صحيح فعند ذلك استأذن الطُميح على الملك فدخلَ وقام قائماً بينَ يديه ثم أذَنَ له بالجلوسِ فجلسَ وأقبلَ عليهِ يسألهُ فقال أيدً اللهُ الملكُ يُعَلِّمُنا ميقات المسير لِنعرفَهُ ونفقدَ عليه وقد كان اراد الملكُ أنْ يكتُمهُ فلما سألهُ الطُميح استحيا منه لأنهُ قائد العسكر ومُقدَّمُ على قُوّاد كسرى فوقتَ له ستّةَ أشهر ثم أعْلَنَ لجميع قُوّادهُ وعساكره بذلك وصاحَتْ صوائِحُهُ بذلك ثم ان الطُميح خرج من عِند كسرى وقدِم الى منزله وبَعَثَ الى بني شيبان رَسولاً يأمرهم بالنفير والدخول في قبائل مضر والاستسلام والدخول في مراد كسرى وتسليم الحرقة اليه ويكفيهم حاله ويؤخره عن سفره وطلب النكاية فيهم وروى للرسول شعراً يقول فيه :

---

(١٢٩) القند : الكافور ، وطيب يعمل بالزعفران ، وكذلك الخمر المطيّب .

أبـلـغ هُـديتَ بني شيبـانَ لا وَهَـنوا يـومـاً ولا نـزلت أوطَـانَـهـم مِـحَنُ
أهـلَ الحفـاظُ ولاةُ الـعِـزّ أنّـهـم تـعـفُوهُـم الخيل والأفْيالُ والحُصُنُ
جُـندٌ عريضٌ كمثل البحر بسطتهُ اوكـالـظلام فـهـل للسِّلم ان يدنوا
قـبـل الـقـطـيـعُ وأشرافٌ مـرّبـطـةٌ بـالـقدِّ[١٣٠] ليسَ لهم عنٌ[١٣١] ولاوطنُ
فـاستسـلَمُوا يا بني شيبـانَ وَيْحَكُـمُ فـالبّحـر تجري عليه الريحُ والسُفُنُ
وقـل لـعـمـرو وفتيانِ غطارفة[١٣٢] متى اصطَفوا رأيَ مَنْ يَهْوُاهـم أمِنوا

ثم ان الطُميح وجّه اليهم رسولاً وقال له إزْيِّج الأشياءَ عليهم ان يستسلموا واكفيهم حال كسرى وقدّم الرسول حتى قَدِمَ ارض بني شيبان فنزلَ بعمرو بن ثعلبة فأقراهُ سلام الطُميح وأسْمَعَهُ شِعْرَهُ ورسالته فعند ذلك أمر عَمروُ بإحضار أكابر قومه وأوقَفَهُم على الرسولِ برسالةِ الطُميح وعَلِمَ مسير الملك وجنوده وأمَرُوا الى صفية لِتَسْمَعَ الرسالةَ وَيَسْمَعُوا ما عِنْدَها فانطَلَقُوا اليها بالرّسولِ فاوقَفُوها على ما وَقَفوا عليه وقالوا هذا أوانُ قيامك فقالتْ أنْصِفُوا جيادكم واستَحدّوا حدادِكم وارتقُبوا ميعادَكم فعادَ القِيام والجَواب بعد اليوم فقد أزِفَ قيامي ولاح بُرهاني فأصْلحُوا شأنكم وعليكم بأنفسكم فقد كفيتم ما وراء ذلك ثم ان صفية رَدّت جوابَ الطُميح وأنشأت تقول :

للهِ دُركَ من نصـيـحٍ صـادق والـنّصْحُ دأبُكَ أيُـهـا الأنسـانُ
واللهُ يُـجْـزيكَ الـذي أسْلَـفـتَـهُ إنّ المهـيـمِنَ واصِـلٌ مَـنّـانُ
أسْـخْـتَ في شيبـان حول صـنائِـعٍ فـلُيستَـعّـد بحِـمـلها شيبانُ
نـاصَـحْـتَـهُـم وشركتَ في مَـخْـدُودهـم والسـرُّ عِـنـدَكَ فيهـمُ اعلانُ
فـلكَ الجزاء لمِثـلـهـا في حـادث لا تـأمَـنَـنَّ فـأينٌ مِـنْكَ أمـانُ
والـدهـرُ يـأتي بـالـتّصارُف بـاقـيـاً وأعْـلـم فَـدَيـتُـكَ انـه خَوّانُ
ولَسوف تـدعوني غـدا فـيـجـيـبُـهُ ولسوف تـقـضي فـرضَـه ويُـدانُ
جـاء الـرسول بـنـصـحـه ولأنّـه محفوظـةٌ أسرارُهُ وتُصـانُ
لـكنّ دون السِّـلم سُمْـرٌ ذابـلٌ لمعـاشري من مـعـشـرٍ فـتـيـانُ

(١٣٠) بالقدّ : بالسّوْط .
(١٣١) عنٌ : ليس لهم عَنٌ : اي ليس لهم شئٌ .
(١٣٢) غطارفة وغطاريف : اي الشّابُ الظريف السخيّ ، السّيد ، الحسن .

وصوارمُ مشــــحوذةٌ وسوابــــغٌ وابو جـيـادٍ كُـلّـهنّ حِصانُ
والـيـوم يـوم حـجـيـجـة من وائـل جـاءتْ بها الأنـبـاءُ والأزمـانُ
ولَـعَـمْـرُ جَـدِّكَ ان عفـاني جُـنْـدُهُ مـعّي لـه الشّـفـرات والـمُّرانُ
شيـبـانُ قومي والأعـاربُ دعوتي وعـزيـزةُ فيهـم ولستُ أُهـانُ
قـل لـلـطُّـمـيح فَـدَتْـهُ فتيان الوغا عـنـدي لـكسرى الـقبّ والأبـدانُ
بـالله افـزع منْ كـثـيف جنوده وأنـا تجيبُ لـدعوتي الـغُـربـانُ
فـلـتـأتِ كِسرى والايـافثُ بـعـده والـتُّـرك والأذلام والـحُـبْـشـانُ
ولـديّ أبـيض بـاسلٌ ذو صَـعْـدةٍ عـنـد الـكريهة بـاسلٌ طَـعّـانُ
جـنـيّ حـرب في الحروب مُـجـرَّبُ وَلَـدى السلامـة انـه إنسـانُ
هـزم الجنودَ بجحـفـل في قومـه لاقـيـه يـوم لـقـائـه خُسرانُ
عـنـدي السلاهِبُ(١٣٣) والـقـواضب(١٣٤) والـقـنّـا(١٣٥)
ومـدّحـجّون الشَـمْـطَ(١٣٦) والشـبّـانُ
وانـا الحجـيـجـةُ من ذُؤابـة وائـل وانـا المجيرة والـقـنـا رعـفـان(١٣٧)
يـا وائلاً ثوروا فـذا ميـقـاتـكم ولـكـلّ أمـرٍ يـا جـلـيـلُ زمـانُ
هـذا زمـاني قـد دَنـا مـيـقـاتُـهُ هـذا الاوانُ لِما زَعـمتَ أوانُ
أبـلِـغ طُـمـيـحاً يـا رسول وقُـل له بسُيوفِ تـغـلبَ تُـغْـلَبُ الأقـرانُ
لا تجزعـنّ على ربـيـعـة أنـهـمُ أهـلُ الـنصـيـحـة يـا فتى شيـبـانُ

ثم ان صَفيّة رَوَتِ الرسولَ شعرها وقالت له إقرأ أخانا الطميحَ السلامَ وقل له نحن مستقيمون للقاء هذا الغَشُومُ الجبّار الظَلوم بقومنا بكرٍ وتغلب وانا ارجو لقومي عاقبةَ الصبّر في اجارة الجار والاّ فليسَ واللهُ يلاقي ولا يكافيُ ولاَ جرت عادة العرب والعجم من قَبْلنا الاّ انا قد رَكِبْنا الخطَرَ لهذه الملكة التي أيْتَمَها من أبيها وأعمامِها وبني عمّها في غيرِ جُرْمٍ ولم

(١٣٣) إسلَهَبَ الفرسُ : كان سَلْهَباً ، السلهب ، والسلاهب : الطويل .
(١٣٤) من قضبَ قَضباً الناقة : ركبها قبل ان تُراض ، إقتضبَ الناقة : ركبها قبل ان تراض .
(١٣٥) قَنَّ : قنّاً : ضرب بالعصا .
(١٣٦) شَمِطَ : خالط بياض رأسه سوادٌ فهو أشمط .
(١٣٧) سيلُ الدم .

برض بذلك حتى طرّدها وأخاف العرب لأجلها بتوعّده وضّيقَ عليها الارض بما رحبت وبالله لا سلّمناها ولا تركنا اجارتها لأجل خوفه ولو جاء بعدد القَطْر والرّمل ونحن نسألك بالله ان لا تترُكُ مواصَلَتّنا بمراجعة اخباره ولا ترمادّ ولا ترتاع ولا يُملّ رسولك الينا كالعوائد الاولى فأنصرَفَ الرسولُ راجعاً ثم امرتْ صفيةُ بعده لأشراف قومها يَحضُرُوا من كل ناحية من نواحي العراق إلا من كان منهم في ارض جَذيمَة أو في ديار قيس بن عيلان او مع بني تميم فلما إجتمع اليها رؤساء قومها وكان بعضهم لم يحضروا الوقعات الاولى قالت لهم أنّي مستقيمة لهذا المَلكُ بكم ولا أُريدُ ان أصْرَخَ عليه بأكثَرَ منكم واخوانُنا بني تغلب فأنهم لم يتأخرّوا عنّا ولم يُسلمونا بمثل هذه الفادحة أفتستقيمُون وتَصْبرون أم أُستجيرَ لي ولجارَتي بقبائل غيركم وأُريكم العزّ الاعزّ والعديد المُجهّز وأنشأت تقول في ذلك :

مـاذا تَـرَوْنَ بني بـكـر فـقـد نـزَلَتْ	كبرى الـذوائب والاخـرى على الأثـر
أتصبرون لِشَـعـواء مُـلَـمْـلَـمَـة	فيهـا الأعـاجـمُ والـنُشّـابُ والـوَتَـر
أم لـسـتُـم أهـلَ صَبر في نـوازلها	عـنـد الحفـائـظِ والجارات والخفر
أني أجَـرْت بـكـم يـا قـوم فـاصطبروا	فـالصبـرُ يُـحلِـلُ فوقَ الأنجمُ الزّهر
إيهاً أجـيـبوا بني بـكـر حُـجَـيجَـتُـكُمْ	ما عِنْـدَكم وَيْحَكم مِنْ غاية الخبر
يـا أيها الشُمُّ أنتم حـافـظوا ذِمَـمي	وأنـتُـم فـلَـعَـمْـري الـعـزُّ من عُـري
امّـا صبرتم فـلـم أدْعُـو لـغيركُـم	وإنْ جَـزَعْـتُـم أُنـادي كُـلَّ ذي خطر
بـكـلِّ سام الى الهيـجـاء ذي شرف	وأرى الـزنـاد كـريـمِ الـجَـدّ من مُضَرِ
ذو مـرّة لا يَخافُ الـجُـنْـدَ إن كثُروا	في سادةٍ قـادة مـعـروفـةٍ صُـبُـرِ

فأجابها أبو الأسلد بن مالك الحنفي البكري وأنشأ يقول :

إن يـأتِ كسرى فلا مَـلْـجاً ولا صَـدَدُ	غير الـكِـفـاحِ وغـيـرَ الخيـلِ والـزَّرَدُ
لأبُـدَّ إذا جـاءتْ كـتـائِـبُـهُـمْ	لا عَـيْـبَ في فـاضلٍ أفضى بما يَـجبُ
نـقَـومَ الـخَـط لـلـهـيجاء يَـثَـقِفُهـا	والخيـلُ تُـضْـمَـرُ والأسيـافُ تجَرّدُ
نـحْنُ الـكُماةُ بـنـو الهيجـاء يَـعـرِفُـنا	نـحْنُ الـوُفـاةُ الـسُّراةُ الـسـادَةُ الأسدُ
ولـلـحُـجـيجـة فـيـنـا طاعةٌ وبهـا	يَـنْـجُـو الطـريـدُ من الـغَـارات والـنُجدِ
لِـمَ لا نُـجِبْهـا وهِيَ مِنْ خمسٍ واحدةً	بهاً وفي في حُـجَـيـجَات الـورى الـعَـدَدُ

إذا جَـرْتِ أجِـرْنَـا مَـنْ أجَـرْتِ وقـدْ يـأوى الـطـريـدُ الى سَقْفٍ لَـهُ عَـمَـدُ
يُضَـمَّـرُ الخيلُ بعدَ اليوم فـأعتـقِـدي فِينَا جَميلاً كما أن نَـحْـنُ نَـعْـتَـقِـدُ
وَتُشْـحِـذُ الـبـيـضَ والماذيَّ نَـفْـضُـهُ ولَـيـس مـنَّـا غَـداةَ الـروعِ مـرتَـعِـدُ
والصَـبـرُ فِـيـنَـا سَجِـيَّـاتٌ مؤبَّـدَةٌ والـجَـارُ فِـيـنَـا عَـنْ الفَـحْشَاءِ مُتأدُ

ثم ان أبا الأسلد لما تقدّم الى قومه وغَنّى بهذا الشِعر إتّفقوا عليه وجعَلوهُ جواباً لِمَنْ حَضَرَ مِنهُم وغاب وافترقت رؤساءُ بني بكر في الأستعداد وهي تتوقّعُ وصولَ المَلِك اليهم وحُلولَهُ عليهم فأقاموا على ذلكَ أيّاماً إذا جاءَهم رسولُ الطُميح ذات يومٍ وقد أجْهَدَ في سَيره من شدّة الركض فأنذرَهُم وقالَ إنَ المِلكَ في مَبرز المسير والقُوّاد تُعرض عساكرها عليه ورُتبها وعَدَدها فمن عُرِضَ عَسكرُهُ كامِلاً تَقَدّمَ وسارَ اوّلاً وأسْمَعَهُم شِعرَ الطميح وأنشأ يقول :

قُـلْ لي لشـيـبـانَ واتـبـاعِـهـا وأشمِـلْ جَـمـيـعَ الحي مِن وائِـل
انّ أبـا قـابوس مسـتـقـدمٌ أرضَـهُـمُ بـالمزيـد السّـائِـلِ
الـعُـرْبُ والـعَـجَـمُ ومـا عـنـده من الـظـبـا والـلّـدن الـذّابـل
في فـلـيـقـاتٍ كَسَـحـاب الـدّجا تَـحْتَ العِـجاجِ المُرْهِمِ الهائِـل
فـأنـتـظـروا لَـهْـزَمَـهـا فـيـكُـم استـقـبـلـوا الـطَـلْـعَـةَ مِنْ نـازل
واجـتـمـعوا في موطن واحـدٍ وهَـاكُـمُ ألوِيـةَ الـقـاتِـلِ
لَـمْ تَـرعَـيني مـثـل أجـنـادِهِ في مُـدُنِ الـحُـبشـان والسـاحـلِ
يـغشى الـفـيـافي جُندُهُ كـالـدّبـا ويـقـطـع الـقَولَ على الـقـائِـلِ

قال ثم ان الملك استقر في موضع المسير يعرض جنوده وقد أعدّ الازواد الكثيرة والعُدد الجزيلة والمراكب الكاملة واستمر كحاله فمن عَرَض عسكره ناقصاً من بعض آلته أكمَلَ المَلُك آلته من الزاد والسلاح والركائب فبدأ الملك بتقديم جند العرب وأحسن اليهم وأنعم عليهم وكان معه طائفةٌ من الأعراب في كل فرقة من قحطان وعدنان وكان يكرم الشجعان والذين ينصحونه في الحرب . قال : فلما بلغ في إحسانِه من بَلَغَهُ أسْبق منهم معه فقدَّمهم على جنوده من العجم ثم أفتقَدَ بعد ذلكَ العَجَم من قومه من الفُرْس ومَنْ تجنّد معه من وُلْد يافث ، فَقَدَّمَ وُلْدَ يافث وأختَصَّهُمْ بأحسانه ،وأنْعَمَ عليهم وقدّمَهم على قومه الفرس

فوجدَهُم مائة ألف فارس وَعَرَضَ جُندُهُ الفُرس فَوَجَدَهُم مائة ألف فارسٍ غير العرب فأنهم سبعون ألفاً . واما جُنْدُهُ من الفرس فلم يحتاجوا الى إعانةٍ لكثرة ما معهم من الأرزاق والأموال العريضة فلما استقَرَّ المَلِكُ عرض خيله ورجالَهُ وركب في آخرهم في كافة اولاده ووُزرائه وانّ المَلِكَ لم يَجْمَعَهُم في غُزاةٍ قبل تلك الغُزاة ، ثمَّ انّ الملك ركب في زيٍّ لم يركب به أحدٌ من الملوك من قَبْله ممّن سمعنا به في زمانه من ملوك عصره ثم توجه يُريد رَبيعةَ ، قال بشر بن مروان الأسدي . ثم ان رسول الطُّميح لما وصل بحقيقة وصول الملك بعثَتْ صفيةُ الى شهاب بن النُويْرَة بحقيقة الخبر وأعْلَمَتهُم انها مستقيمة بقومها بني بكر وانّا سوف نَنظُمُ ونجتمع بعضنا الى بعض ونَنْزِلُ بذي قار وبه يكون اللقاء وعليك يا شهاب سَدُّ الثنايا فَسُدَّها بمن شئتَ وانه لمّا فشا عِلْم غزاةِ الملك في أرضَ ربيعة رجفَتَ ارضهم وتزلزلت زلزالاً عظيماً وخرج منهم من كان معهم من الخُلطاء والأخوان والأصهار والأصدقاء ونفروا من بين أظْهُر بني شيبان وربيعة كلّها ولم يَبْقَ غير الحيَّين بكرٌ وتغلبٌ الذّين هم سكان السَّواد ، فامّا بنو بكر فانضّمت الى صفيّة ورهطها وتجاورت ، وامّا بنو تغلب فوّلت عليها شهاباً واجتمعت اليه وكان في قومه كَعَمْرو في قومه . قال بشر بن مروان الأسدي ان سكان السواد من بكر وتغلب وهم ساداتُ القوم ورؤساء ربيعة والمنازِعون والذين لا يصحّ الملك من حِمّيَر الاّ بهم ، وملوك الفرس الا بالاحسان عليهم وامّا ولد عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جُدَيْلَةَ بن أسد بن ربيعة فأرضُهُم اليمامة لأن قبائل ربيعة ضُبَيْعَةُ وعنزة وعبد القيس وبكر وتغلب وعنز وعجل وحنيفة ولخم ويشكر وشيبان وذهل وقيس عيلان وتملان وسدوس وضبيعة بن ربيعة والنمر بن قاسط بن هنب أبن أفصى بن دعميّ بن جديلة ، وعبد القيس بن أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة . وعجل وحنيفة ابنا لجيمْ بن علي بن بكر بن وائل ، ويشكر بن بكر بن وائل . وشيبان وذهل وقيس وتملان بنو عكانه بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، فأما ولد عبد القيس فأخوة قيس من امة واخوة ثعلبة لأبيه فأنهم سكّانَ اليمامة وما يليْهَا وأخوهم عنز فهو في ارض المعروفة وهي في حدود أرض خزيمة ومن يمانيها اخواه شهران ويكلب وهم في حدود نهد وسَنحان اما ولد عبد القيس بن ثعلبة فأنهم يسكنون في بلاد مضر ويُظاهِرُون فيهم ولم

تَكن الفتنة من ولد ربيعة إلا في بكر وتغلب[١٣٨] سّكان السّواد سواد العراق وقد قال القائل قد بَلَغَنَا عنهم انّهم كانوا بذي جَشْيم والتقوا بها ، وهي حجازّية وبالرَّقمة[١٣٩] وهي مُجْدَبَةٌ وكذلك نَجران[١٤٠] وهي بحَدٍّ من الحجاز وهو الصّواب وذلك ان القوم كانوا جيراناً بالسواد فلما هاجت الحروب بينهم اقتتلوا بالسواد فلما أجدبت انتجعوا للخصيب جميعاً وتجاوَرُوا في مكان واحد والتقَوا في مكانَ ينزلونَ به سواءٌ كان بالحجاز او نَجد ، وأما وقائعهم والملوك فأنّهم اذا بلغهم علم مَسيرهم اليهم نَهَضَ من حَضَر منهم .
قال بشير بن مروان الأسديّ ان بكراً وتغلب كانت أرْضُهُم السّواد ولما خَلَتْ من الأخلاط على خِصبها ونعيمها وكانت أَخصَب أرض في بلاد العرب قال الشهاب بن النُويرة من ذلك كيف أفزَعَتْهُم عساكر كِسرى حتى رحلُوا عن أرضٍ لا يجدون عنها عوضاً الى ارض مُجدِبَةٍ وأهل الملكُ مُستقيمون لِفتْنةِ عَدوُّهم وغير راجعين عنه ثم فكّر شهاب في نفسه وقال لحا الله الخلطاء في سائر العرب فلا عَصَبّية لهم ولا خَيرَ عندهم هذا ونحن مستقيمون فكيف لو مِلْنا مَيْلَةً ورغّبتنا فيهم كرغبة أهل البلاد في سكان بلادهم ، ويقال إنّ البلد تُحمى مع أهلها الى كل ساكن يسكن مع أهلها وَيَمسّهُم نفعُها مع اهلها لشأن منفعتها فأنهم لا يتركونها بدخل ولا بحرب ما استقاموا بها اهلها ثم اتى على نفسه لئن خرج سالماً وأفْلَتَ من وقائع كسرى لِيُعرّفَهُمْ بذلك ولَيُعاتِبَنّهُم على سُوءِ فِعْلهم ثم أنّ شهاب بن نويرة أنشأ يقول :

مَضَى الاصـهـارُ والجيـلُ الأكـيـدُ ... وجـاءَ الـجُـنْب عنهـا والـبـعـيـد
وأقْـفَـرتِ الـبلادُ فـلـيسَ فيهـا ... صـديقٌ يَسْـتَـفـيـدُ ولا يُـفـيـدُ
ولا صِــرٌ ولا جــارٌ شريـف ... لـهُ فـعـل على الـعُـلْـيَـا حَـمـيـدُ
وخوَّفَـنـا الـطُّـمـيحُ جنودَ كسرى ... ولـيس يُـخـيفُ مـعْشَـرَنـا الـجُـنُودُ
وخَوَّفَـنـا الـطُّـمـيحُ ولـيسَ مـنّـا ... مــعــاشرُ وائــل أبــداً شرُودُ
إذا كــانوا سحــابــاً في ظَلامٍ ... فــنــحن بــه الـبَـوارقُ والــرُّعُودُ
وان كــانوا بِــطــاحــاً في رمــالٍ ... فــنـحنُ السَّـيْـلُ فيهـا الـمُسْـتَـجيدُ

---

(١٣٨) للمزيد من التفاصيل انظر ابن حزم «جمهرة انسان العرب» .
(١٣٩) الرقمة : وهي مجتمع الماء في الوادي ، وهي قرية في نجد ، وحدثت فيها يوم الرقم ، وهو من أيام العرب ، وكان لغطفان على عامر «انظر البغدادي ، مراصد الاطلاع ٢ /٦٢٥ – ٦٢٦» .
(١٤٠) وهي من مخاليف اليمن من ناحية مكة (البغدادي ، نفس المصدر ، ٣ /١٣٥٩) .

وإنْ كانوا صباحاً في قِفارٍ — فَنَحْنُ الحَرُّ فيها والبُرودُ
وإنْ عَظُمَتْ جُسُومُهُم وطالَتْ — فليسَ العظمُ يَخشاهُ الحَديدُ
ألا أبْلِغْ آنو شروان عنّي — مُغَلغَلَةً فقد حَقَّ الوَعيدُ
بأنَّ جِيادَنا لكَ صافناتٌ — عليها السّابريّة[141] واللّبُودُ[142]
لواحِظُ بالأسِنّةِ كُلَّ فَجٍ — عليها من عَشائرنا أُسُودُ
وإنّا واقفون بكلّ حرب — لِجُنْدك كي يُبيدُوا أو نُبيدُ
أأطمَعَكَ العديدُ في رجالي — الكِفايةُ والنِكايةُ والعديدُ
ألا رحُبَتْ لمقدّمة النُجُود — وأجْبُلُهنَ والقاعُ السّديدُ
وَزَلْزَلَتِ البلادُ كأنّ نُوحاً — وعوُجاً والسّفينُ بهم زَرُودُ
كأنَّ الريحُ مُرْسَلَةً لِعادٍ — فَعادُ خَوْفَ ريحِهِمُ هُمُودُ
كأنَّ جُنُود كِسْرى يوم ملح — وحرقا ناقةِ عقَرَتْ ثَمُودُ
كأن مَدْيَنْ كَفَرَتْ شُعَيْباً — فيوم الظُلّمَتَيْن لهم مَبيدُ
كأنّ لنا جلوداً فوق لَحمْ — وليس لهم لُحُومٌ أو جُلودُ
أطوَفانٌ هُمُ فلنحن سُفُنٌ — وصاحب لُوطٍ كلاّ لا يعودُ
وان كانَتْ لِفرعونَ بقايا — فوسى حاضِرٌ وبهم يعودُ
جنودُهمُ الىّ عَطا ولَجَّ — هؤيّدُ وَحَبه المِلكُ المجيدُ
احرقا مريمُ أو أمْ عيسى — وأنْتَ إبُو النصارى زنبرودُ
مَخْرَجُها ومَسْكَنها الفَيافي — مَشرّدُها وليسَ لها خُلودُ
ألا لايدفَعَنْ ما يَشتهيه — ولكنّا سَندْفَعُ ما نُريدُ
ومَنَعَنا إبنةَ النعمان لَيْسَتْ — يَنالُ ولا يَهمّ بها العَزودُ
ولأيُدنى بها أحدٌ بسَوء — وعمرٌو في عشائره عَميدُ
فما يُسْليكَ منها غيرُ ضرب — لَهُ في وَسْطِ هامتكم وَقودُ
فَلَسْتُ بنالِ من حَرقاً منالاً — ولو وقَفَتْ عُسفاتُك والوُفودُ
نُخَوِّفُ بالأكاسر كلّ يوم — ويأتينا لأجْلِهمُ بَريدُ

---

(١٤١) نوع من الثياب الرقيقة .
(١٤٢) من اللِبْد ، وهو البساط من الصوف ، ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج .

اكسرى ذا سليمان نـــبيٌّ   من الـرّحمن ارْسَلَهُ يـرودَ
وَتَـخدِمُهُ الـعفاريتُ الـعُراضا   وتَـحمِلُهُ الـرّياحُ لما يُـريدُ
ونحن كـبْنتِ هَـدْهـادٍ أتـاهـا   كـتـابٌ فـيه تهديدٌ شديدُ
إذا أمْـرَ السَّما مـنه سَلِـمْنـا   فـأهْلُ الارضِ كَلُّهم عَبيدُ
نُـجالِدُ جُنْدَ كِسرى لأنـبالي   وهَـلْ مّـنا مِنَ الا لِوّا صُدود
ونَـطْعَنهُم إذا جاؤا الينا   ولو صِهـرى وإخواني تَـجودُ
أيَـطْمُع في نسا حرقاء كسرى   وذلك مَـطْمعٌ مِنهُ بَعيدُ
وحرقا مع بني عجْلٍ حَمَتْها   سيوفُ الهند والسَّرْدُ الحصيدُ
حماها كلُّ وَضّاحٍ جَريءٍ   على الهيجاء عَمْرى لا يَحيدُ
صناديدُ الكِفاح بنو المعالي   ومَـيدان الـنزال لها حُدُودُ
تَطَاهمْ لـلـعِراكِ أبَوْ صِدق   كـذلكَ فـيهُم كانت جُددوُ
لـنا العَليا شيَّدْنا عُلاها   وكلّ العالمين لنا شُهودُ
ونحن اذا التَقيْنا الجُنَد يوماً   سألْناهُم غداً أنْ يَسْتزيدوا

وقال ابو جدابة التغبلي في ذلك اليوم :

سيَعلم جيراني الذين تحملوا   إذا ما فَلَلْنا البردْ قين وقيصَرا
وآب[143] انوشروان أقْبَحَ أوْبةٍ   يَعَضُّ على الأبهام ابكَمَ اعْوَرا
ولم يستقم للعجم عَزْمٌ وأحْجمَتْ   وولّى رعَيل عِند ذاك وقَهقَرا
بانّي الذي أحْمِي العطينَ وأحْتَمي   واضرِبُ بالهنديّ ضرباً منَكّرا
بظنٌّ بنا جيرانُنا شرَّ ظنّةٍ   وقالوا مقالاً في البرّية مُنْكَراً
هُمُ أستَعْجَزُونا مِن لقاء العُجْم ضَلّةً   وفرُّوا فراراً عن بلادي مُشَمِّرا
ألا رُبَّ صِهر مع صديق وصاحبٍ   غدا فبقى في رأيه مُتَحيّرا
وَوَدَعَ آمْهاراً وروحاء كريمةً   وعِيْشا رَخيا عنه صارَ مُطيّرا
ولو شاوَرُونا ما اشَرْنا عليهمُ   نعم وحَمَيْناهُم عشاءً ومُبكرا
وما خطر الفرسي كُسرى وُجُنْدُهُ   إذا ظلّ يوم كاسِف الشمس مُقترا

(١٤٣) آب يؤدبُ أوْباً ، وإياباً ، اوب : اي رجعَ .

وغـطّت بـنـو بـكـر شِفاهاً وكَلَّحَتْ   بـنـو تـغـلـب بَـعـد الطّـعـان بِغـشـمـرا
ودارَتْ رَحـانـا قـبـلَ دَوْر رَحـاهُـم   فَـدَقّـتْـهُـم دَقَّ الـريـاح هَبَ الـثَـرا
فصـبـرًا الى مـا تـدْنَ مـنّـا جُـنُـودُهُ   ونَـلْـبُـس بـيـضـاً لـلـوغـا وسنورًا
ونُـقـحُـم فيهم كُـلّ ادهـم سَابِقٍ   وكُـلّ كُـمـيتٍ صادق العَدْوِ أحمرا

قال بشر بن مروان الاسدي : ثم ان شهابا لما بلغه قَصِيُد ابي حدابة وقول امّه وزوجته النَّوار ومُساعدةُ خاله على رأيها وخرفها ابي حدابة من أهله وما له والشعرُ الذي انشده اياّه ابن خاله لعمتّه برضا ابيهَ وجّهَ الى ابي حُدابة فلماً جاءه وسَلّمَ عليه ومثل بين بديه اقبلَ عليه فقال يا ابا قَيْةَ أصحيح ما بلَغَني عن أمّكَ وخالك وعرسكَ قال له التَمِسْ ذلك من غيري فعلم ان في شرف نفسه وتجاود نخوته ان لا يثنى من ذلك شيئاً قبل فأعَرض عن شهاب عن استبجاثه[144] في ذلك فقال له شهاب أتُريدُ أن ازوجك فتبْليه فقال ابو جدابة انّى لا اقصّر عن ذلك ولا تكثر عليّ قال فتبسّم شهابُ في وجهه ثم انه حمل الى قُتْيلةَ مهرَها من عنده ثم اَعْطاه من اللّقاح ما يكفيه وأمرَ عَبيدَهُ وفتيانه بالوليمة فلما عَملَتِ الوليمةُ أحْضَر الطعّام والشراب فظلّ يوم السرور فاكلوا وشَربوا حتى إجتهم[145] الليّلُ وافترق الناسُ وتقدم ابو حدابةَ الى زوجته قتيلة فنام عندها باحسن ليلة وأتمَّ سُرُور . قال رواه هذه السيرة وأقاموا بعد ذلك ثلاثة ايام على ذلك الحال ورُفِعَتْ راياُت المِلكِ عند الفجر بجيوش تَتَضعْضَعُ بها الاودية وتَضيقُ بها الفَجاج وجاءت الجيوش متُعُارِضَةً غير متابعة وكانت بنو شيبان في تلك الليلة قد حذروا بالشدّ لَحريمهمُ والركوب فَفَعْلَن ذلك قال وأمْسَى القومُ فوقَ مُتُون الخيل شاكي السّلاح .كذلك شهابُ بن نُويرة ليلته تلك أمر قومَهُ بالشدّ على الخيل وبلبس سلاحهم ففعلوا ذلك وَرَكِبَ فيهم وجَعَلَ على كلّ ثنيّة[146] فرقةً من قومه يكنِفُهَا ولا يَصْعَدُ عليها أحدٌ وهي ثنتان وخمسون ثنيّة لا بنيت ثنيّة لا قوم فيها فسدّها شهابٌ وحده ، قيل ولمّا لاحت أعلامُ الملك اقبلت صفية على قبائل قومها بني بكر تعبئّها وتحرضّها فِرقةً بعد أخرى وتدفعُ كلّ قبيلةٍ أمامَ من يليها وكان أوّل من بَدَأت به بنو حنيفة فرمتهم وتبعوها وسارت .أنشأت تقول :

---

(١٤٤) وردت في الاصل «اسجاثه» .

(١٤٥) وإجتّهم اي دخل في جهمة الليل وسارَ فيها .

(١٤٦) الطريق في الجبل .

إيهاً أجيـدُوا الضَـرْبَ يـا حَـنيـفـة ... فـأنتم الـجُـمـجـمـة الشريـفـة
أهْـلُ الـلـقـاء والـعِـدَّةُ المعـروفـة ... والـعُـدّة المنسوجـة الموصوفـة
حـامي على اعـراضكَ الـنـظـيـفـة ... الـطـاهـرات ويحك الـعـفـيـفـة
ان الجنودَ حولـكـم كَـثـيـفـة ... فلا تُـهْـلِـكُـمْ وتَـرِدكـم خِيـفـة

ثم انها رَمَتْ بهم أمام سوادا مدلّهم كان قبلهم ثم أقبلت على رهطها بني عِجْلٍ اخوة بني حنيفة فرمتهم وتبعوها وأنشأت تقول :

لجيم قومي وبني أبـيـنـا ... لـيسوا لَـدَى الهيـجاء مُـغَـلّـبـيـنـا
بـل ظـافـرين وحُماةٍ فـيـنـا ... الـعِـزّ فيهـم حـيـنَ يُـلْـجِـمُـونـا
ويَـسْـرجون ثـمَ يَـحْـمـلُونـا ... ايهاً لـبَني الأعمام فـأنصرونـا

ثم أنّها رَمَتْ بهم سواداً كان قبلهم ثم أقبلت على رَهْطها بني عجلٍ فميّزت منهم أباها وأخاها تُريدهما لشيْ ثانٍ فتقدَّمَتْ صفيّة أمامَهم وهُمْ مِنْ خَلفِها وأنشأت تقول :

الـفَـخْـرُ فَـخْـري بسُـراةِ عِـجْـلِ ... هُـمْ مَعشري في نَـجـدِهـم والسَّـهْلَ
هُـمُ الـسُّـراةُ وحُماةُ الأهـلِ ... والـفـائِـقون بشريف الـفْـعِـلِ
والـمُـنْـعُـمون بشريف الـبَـذْل ... والـنَّـاقِـمونَ بـعـريض الـنَصّـلِ
ايهاً أبـيـدُوا جَـمْـعَـهُـمْ بـالـقَـتْـلِ ... ولا تـكـونُوا عَـرَضَـاً لِـلـنَّـبْـلِ

فاخْتَلَطُوا فيهم [illegible] مَنْها
ثم إنهّا رمت بهم الى من يليهم من السواد واقبلت الى اخوانهم بني ذُهْل وتقدّمتْهم وهُمْ من خلفها وأنشأت تقول

اليوم يومُ الـعـزّ لا يومُ الـنَّـدَمْ ... يومُ رمـاحٍ وجـيـادٍ وخَـدم
يومـاً بـه الأرواح جَـهْـراً تَصطلم ... سوف تَـرى الـبَـيض غـداةَ المُبْتسم
الوائـلّـيـاتِ التي تحمي الـبُـهَـمْ ... يـا آل بـكـر لا تُـهْـلـكُـمُ الـعَـجَمْ
مَن الـذيَ يَـحْـمي الخيامَ والـنَّـعَـمْ ... وَمِنْ يُـطـاعِنْ تحت سِرْبـال الـقتم
ان صَبرتْ ذُهْلٌ فعزّي اليوم تَمّ
ثم انها رمت بهم في سواد كان قبلهم

ثم نادت أباها وأخاها فجعلتهم على جُمْهور بني شيبان في بني مرّة وبني علي وبني الأبرص وعبد بني شيبان وبني مصبّح وبني بكر الأصغر وبني نافع وبني قرط وبني النمر وحده آخر بُيوت شيبان ثم عَدَلَتْ بهم الى كسرى واولاده وكان تحتهم جمهور عسكرِ الملكِ أهلُ الشرف واللّباس والألة والعُدّة والعَديد والسَّطوة القاهرة والعُدَّة الحاضرة والملوك جبابرة وسارت وهم من خلفها وأنشأت تقول :

أيهاً بني شيـبـانَ صَـفّـاً بـعـد صـفّ ... مَنْ يُـرِدِ الـعَـلْـيـاءَ لم يَـخْشَ التّـلف
مَنْ حـاذَرَ الموتَ تـنـحّى ووقـف ... انّ الشـجـاع بـاسل فـيـه صَـلَف
ان يـقـتـلوا بـظـفـرٍ ويحذر ويـخَـف ... وفي الـفـرار يُولجوا فـيـنـا الـكَـلَـف
الـيـومُ يومُ الـعـزّ موصوف الشرف ... إنْ حـافـظَتْ قومي فما بي من أَسف
أنـا ابـنـةُ الـعِـزِّ وعـرضي اليوم عَفْ ... بـكـلّ نصـلٍ كـالشـهـاب المختـطـف
تَخْطِفُ قوماً قد عَفَوْنا بَسَرَفْ

ثم ان صفية نادت أباها ثعلبة وأخاها عمرواً الى خاصة العسكر وحمل الجنود على الجنود واشتغل كل قوم بمن يليهم ثم ان صفيّة رَجَعَتْ الى ورائها ونادَتْ بالضعائن تتبع كُلَّ قبيلة حريمها وأموالها مِنْ خَلْفَها ففعلوا ذلك وركَضَتْ بعيرُها تريد الثنايا تنظر ما صَنع شهابٌ فوافَتْ شهاباً قد التفتَ قومَه اليه وقد سَدّ كلّ ثنيّةٍ بقوم وبقيَتْ ثنيّةٌ فَسَدَّها شِهابٌ وحده . قيل ودفعت جنود الملك لصعود الثنايا وهم عساكر كالسّحاب او كالسُّيول فرَدَّتْهُم تغلِبُ فنظَرَتْ جنودُ الملك الى الثنيّة التي ليس عليها غير شهاب فطمعوا في صعودها فحَذَرَهُمْ شهابٌ وحده وكان بمنزلة قبيلة ثم انّ صفية اشرفت فنظرت سواداً كثيراً وقد حذرتهم تغلبُ ولَزِمَتْ لهم الطُرُقَ فلم يستطيعوا عليهم سلوكها فعند ذلك وقف كل قوم بإزاء اصحابهم ، وقد روى في الخبر عن سيّد البشر محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خفض له الرفيع ورفع له الخفيض حتى استوت الأرض وكشف له الغطاء ، وذلك في يوم ذي قار الآخر فرأى ربيعة قد هَزَمت جيشَ العجم ونُصرت عليها فقال صلى الله عليه وسلم

«نُصِرَتْ العربُ على العجم ونُصِرَتْ بي العَرب»[147] فسمّاهُم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لما احاطوا الذمام في العرب وحموا حماها ولم يضيّعوا الجار . وقد زعموا ان ربيعة لو لم تُجَرّ على كسرى لما رجعت العرب تَجير على الملوك . وكان ينقطع الجوار في العرب فأراد الله منعة الجار في خَلْقه فقوىّ قلوبَ بني شيبان ولكل نصيب من الشرف والسُّودد والنّجابه والصبر والكلّ لا يُجْحَدُ فَضْلُه ثم أنّ صفية هَبطتْ من الثنايا وقد رَضيتْ فعلَ شهاب وقومه فطابَتْ نفسُها عليه وأرادَتْ أن تطلع على قومها وتشهد فعلهم وحثّت بعيرها اليهم وكان ذلك اليوم شديد القتال على اخيها وأبيها ومن معها من بني شيبان لأنهم في جمهور عساكر الملك لشأن الأكاسرة اولاد الملك لأنهم باشروا الحرب بأنفسهم وأما الملك فكان في قُبَّته على فراشَ مَلكه وحَوله عشرة آلاف غلام من صناديد مماليكه بالسيوف المحلاة والحجف اليمانية . قال بشر بن مروان الأسديّ ثم ان بني شيبان لما اشتجر فيهم القتلُ والجراح جالوا جولة من المَعْرك فولّين حريمهم هرباً فوافى ذلك رجوعُ صفية من عند شهاب بن نويرة فلما رأت الضّعائن والخيل متواترة بعدها ركّضت بعيرَها ولقيت الضعائن فأوقفتْهم واناخت بعيرَها وأخذت خنجراً كان معها وجعلَتْ تقطع به الأصلاد[148] من الجمال حتى تساقطت النساء[149] وصارت النساء[150] يَسْقطن من ظهور الجمال هُنَّ واولادهنّ ، ولهنّ ضجيجٌ عالٍ .

---

(١٤٧) روى عبد الله بن الامام أحمد بن حنبل قوله : حدثنا عبد الله قال حدثني أبي قتنا هشيم قتنا العوام عن ابراهيم التيمي ، قال : لما كان يوم ذي قار انتصفت بكر بن وائل من الفرس فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : انتصفوا منهم بكر بن وائل من الفرس ونحوهم ، قال : هذا أول يوم فَضَّ الله فيه جنود الفرس بفوارس من بني ذهل بن شيبان .

وروى عبد الله عن أبيه الامام أحمد قوله : «حدثني أبي ، قتنا هشيم قال واخبرني شيخ من قيس يقال له حفص بن مجاهد ، وكان عالماً بأخبار الناس ، قال بلغني : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : «وبي نصروا» قال : وكان ذلك عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم» .

«انظر الامام احمد بن حنبل ، فضائل الصحابة ، تحقيق وصي الله بن محمد عباس ج ٢ (بيروت ، ١٩٨٣) ص ٨٢٩ ، وكتابه الموسوم : العلل ومعرفة الرجال ، تحقيق طلعت قوج واخرون (انقرة ١٩٦٣)

(١٤٨) اصْلَدَ : اي الزند .

(١٤٩) رودت في الاصل «النسوان» وهو جمع امرأة من غير لفظها .

(١٥٠) وردت في الاصل «النسوان» .

قال بشر بن مروان الأسدي فلما عطفت خيل القوم الذين كانوا ولّوا حتى كادت حوافر خيلهم تطأ نساءهم فعند ذلك عطفوا عطفة من لا يرجو الحياة بعدها ثم ان القوم عطفو على مقاتلتهم وحملوا في السواد وقاتلوا مع فرسانهم وصابروا ، وقيل ان صفية صاحت بأعلى صوتها وانشأت تقول يا عمرو يا عمر الفتى :

يـا عَمْرُوُ يا عَمْرُوُ الفتى ابن ثعلبة حـام على جـارتك المستـغـربـة

وزاحِم العُجمان عند العَقَبةِ

قال فألقى الله صوتها في أُذنِ اخيها وهو لا يدري ما تقول غير أنه لم يَخفِ عليه انها تُحَرِّضه وتأمره بالاقدام والصبر وخَوْض السواد فحمل برجاله وبعده أبوه وفُرسانُ قومه المعدودة في الكتائب وقومهم من بعدهم ورَفَع الحِلاقِ ، «والتَفَّت السَّاقُ بالسَّاقِ»(١٥١) وتضايَقَ الجُندانُ وَعَظُمت النكاية فيهم ، فأما بنو شيبان فصبروا لأجل حريمهم واموالهم وجارتهم ، واما جُند الملك فصبروا لأجل كثرتهم وملوكهم فلما رأت صفية ذلك خافت على اخيها وأبيها الهلاك وعلى قومها فرجعت تُرَكِّضُ بَعيرها الى الثنايا تستزيد بعض الحيّ من تغلب وتستنجد شهابا وفرقة من قومه . قال بشر بن مروان الاسديّ فبينما هي بالحَثّ إذْ بها تنتظر في وسط البرية عجاجة مُنْعَقِدةً لا تَشْبُهُ عَجاجَ الخيل الذي في القتال ، وذلك ان عجاج الخيل الذي في القتال مفترق مشرقا ومغربا ويميناً وشمالاً وهذه عجاجةٌ مُنْعَقِدةٌ مجتمعة مجتمعةٌ عاليةٌ على العجاج وذلك ظليم بن الحارث بن حِلّزَةَ اليَشْكُري كان يومئذٍ في ارض قيس بن عيلان وكان مصاهراً لهم ومعه جماعة من قومه بني يشكر وهم خمسةُ آلاف فارس وطائفةٌ من قومهم بنو عبد القيس بن ثعلبة الاكبر وكان في ارض قيس بن عيلان وقد بلغهم اجارة بني شيبان للحرقَة وعِلمُ الوقائع الاولى ثم جاءهم عِلمُ مسير الملك اليهم وبسُعاته الذين وقّت لهم فانتظر ظليم بن الحارث ان يأتيه صارخٌ لأحد الرجليّن ، اما شهاب بن النويرة واما عمرو بن ثعلبة فلم يأته احد فعلم ان الرجلين قد استقاما في عشيرتهما اهل السواد ووطنوا انفسهم على الصبر فعند ذلك جَمَعَ ظليم قومه بني

---

(١٥١) هذه الاية الكريمة تبين مدى تأثير المؤلف باستخدام الالفاظ القرانية ، حيث استشهد بالاية الكريمة نصاً ولم يشير الى انها آية ، وانما اوردها في سياق الحدث قال الله تعالى : (والتفت الساقُ بالسَّاقِ) اية ٢٩ ، سورة القيامة .

يشكر وسائر قبائل بني عبد القيس من كل ارض قيس وغيرها ، وقال لهم هل لكم من رغبة في عشائركم اهل السواد أو عصبية او حَميّةٍ فقد بَلَغَتْكُمْ عنهم من علم صبرهم وإجَارتهم الحَرَقَة على كسرى واستقامتهم لجنود كسرى فغدوا عليهم بالفتنة وتروح لشان الحرقة جارتهم ، ولا بقاء لهم بعد ذلك على ما هنالك فأجابوه ، وقالوا لوكان لمسير الملك ضجّةً لكانت صوارخ الرجلين قد جاءت الى قبائل العرب من ربيعة حيث كانت ، قال : فلمّا سمع مقاله قومه أسْبَلَتَا عيناه بالدموع وبكى بُكاءاً شديداً حتى كادَت انفاسه تنقطع ولما إستَرْجَعَ من بكائه قالوا يا سيدنا علام بكاؤك فلقد هالنَا وافزعنا ، قال ومن أحَقُّ بذلك مني وكيف لا ابكي وقد صحَّ مسير الملك بجنوده وكافّة اولاده وعساكره لا يَسَعُها رحيبُ الارض لقوم يقصدهم وفي رجالهم الجريحُ والأشل وفي خيولهم الأعرج والأزور من الوقائع الاولى وقد وطَّنوا انفسهم على الصبر واستعدوا للهلاك وهم أهلُ الشرف في ربيعةُ طُرّاً وذَوُا النجدة والشدّة فأيُّ بقاءٍ لنا لعدهم وقد فاتنا من وقائعهم الاولى ما فات ، وأما الآن فكلّا والله ما لي عنهم صبرٌ ولا مُختلف واما شهاب بْن النويرة ، وعمرو بن ثعلبة فلو جاءتْها جنود الشرق والغرب ما اصطرخا الى احد ولا فَعلاه ابداً وانهما ليستقيان بقومهما اهل السواد ، وثالثهما ابو جدابة ما يبالي ، والله بالخيل كَثُرتْ او قَلَّتْ فاخبروني ما عندكم ، قالوا والله ما لنا عن الغارة تأخير ولقد حقّقْتَ لنا مسير الملك بنفسه بل إنّا نَتَأَهَّبُ للمسير على قدر ميقاته ونواسي اخواننا بانفسنا بالموت والحياة ، قال وان القوم وافقوا ظليم بن الحارث على الغارة ليوم معلوم وافترقوا في اصلاح شأنهم واستعدّوا للمسير واغاروا فيما تلك عادتهم ، قال بشر بن مروان الأسديّ ، ثم ان صفية استقبلت العجاجة وكان القوم قد رأوا عجاج الخيل فعلموا انَّ القوم في القتال في اعظم ما يكون فلمّا قرّبوا اناخوا الابل ونزلوا عن ظهورها واستخرجوا دروعهم فافرغوها عليهم وشَدّوا حُزُمَ الخيل وركبوا على متونها وتَقَلّدوا سيوفهم وإعتقلوا رماحهم وتقدَّمَ امامهم ظُليم بن الحارث اليشكري وكان اسداً من اسود ربيعة وفُرْسانها ذوي البأس والنجدة والمراس ، وكان سِنانُهُ(١٥٢) كأنَّهُ شُعلة نار وقُنانه(١٥٣) قامة فلاح لصفية تُوقد النّصلُ في صدر القناه

---

(١٥٢) السنان من أسنّه : وهو نصل الروح .

(١٥٣) القُنان : «كمّ القميص» .

فعلمت انه سنان ظليم بن الحارث فأيقنت عند ذلك بالنصر والظفر فاوقفت بعيرها ثمّ أحثت في لقائه مستبشرة بقدومه هو وقومه وانشأت تقول :

هـذا ظـليـمٌ جاءهُـم في يشكـر بالقَبِّ[١٥٤] والمرّان[١٥٥] والسنوّر[١٥٦]
كَلَيْثِ غاباتٍ هَموسٍ[١٥٧] مُخْدِر يا فارساً تحت العجاج الأكدَر[١٥٨]
هـذا ظـليم من كـرام معشري إحْمِلْ هُديتَ حَملةَ المُستَنْصر

قال : وكان ظليم على اول خيله بينه وبينها غاية الفُرس فلاحَ له بعير صفية وهي تحثُّ في لقائه وهي مُسفِرةٌ معتَجرة متنطّقة بمحزمة الرجال فقال لها ما صنع شهابُ فقالت لزم الثنايا وبذلك أمرتهُ قال وما صنع اخوكِ قالت انه في الكريهة بنفسها قالَ سيري أمامي فأنّي لا اعرف مكانه من السوّاد وصاح بخيله صيحة فاحاطت به وحثّت بعيرها امامه وانشأت تقول :

أحـمِـل ظـليم في الـعـجـاج الأسْود ففيه عمروٌ كالهِزْبَر[١٥٩] الأربد[١٦٠]
يضـرِبُ بـالـمُشَطّب المهـنّـد بسـاعـدٍ ذي نجدةٍ مؤيـد
ادركْ فـانت غـايـة المستـنجـدْ وأعـدو على الـقـدم كَـعَـدو الاسَدِ
بـذي جـنـانٍ كـالصَّـفـاء الاصْـلَـد بـالـيشـكـريين كـرام المحتـد

فاجابها ظليم بن الحارث وانشأ يقول :

انَّ ظُـلـيـمـاً لم يـبـعـد من غيلانِ بـعـيـد واعٍ لـيـخـاف الاقـران
لا بـدَّ من ضربٍ يُشـيبُ الولـدان فـاستـبشري الـيومَ بـنصرِ شيبـان
ان لم أجـلـيّـهـا فـعُـمري خسران واهـزم الجمـعَ وأطْـفـيْ الـنيران

---

(١٥٤) قبَّ – قَبَّاً يد فلان : قطعها ، القُباب : من السيوف ونحوها : القاطع .
(١٥٥) المُرّان : الواحدة (مُرّانة) : الرماح اللدنة في صلابة الشجر تتخذ منه الرماح .
(١٥٦) السنّوّر : جُملة السلاح ، لَبوسٌ من قدٍ كالدرع ، كلّ سلاح من حديد .
(١٥٧) الهموس : الأسد الخفيف الوطء ، والأسد الكسّار لفريسته .
(١٥٨) الأكْدَر : السيل الشديد .
(١٥٩) الهِزبَر : الاسد .
(١٦٠) الأربَد : رَبداء ما كان فيه ربدةٌ ، ما كان اربد اللون .

ثم ان ظليم بن الحارث حَمَلَ بقومه في السواد وامر قومه ان يرفعوا اصواتهم بصيحةٍ غريبةٍ عاليةٍ ليطمئن بهم العرب وليفسخوا بها شيئاً من عَزْم العجم ثم وضعوا فيها السيوفَ والرماح وفَرَّجوا عن قومِهم فُرجةً معروفة والتقى الجمع بالجمع واقتتلوا قتالا شديدا وافترق القوم عن ضربٍ شديدٍ وطَعْنٍ عميد ، قال : ولما افترق الجمعان افتقد عمرو واصحابه فوجد مقاتلته قد أصيب منهم جماعة غير منْ أحصبَ من القوم قبل ، وكان عمرو يومئذٍ قد كلِم [١٦١] بالجراح من النبال والسيوف ، قال واتفق ظُليمُ بن الحارث ، وعمرو بن ثعلبة فتصافحا وتسالما وعرف كل واحد منهما صاحبه واستبشر عمرو بظُليم وسُرَّ به سُروراً شديداً وأقبل ظليمٌ على عمرو يعاتبه اذ لم يأمر اليه بصارخ ثمّ قال يا عمرو أمّا ما فات من الوقائع الاولى فقد فات واما اليوم فاقيمونا في اول اللقاء ، والآن فانّي معك وقسيمك وداخل فيما دخلتَ فيه وضامنٌ من الجوار ما ضمنت وغير ذلك فجزى له خيراً وبرز ظليم بن الحارث بين الصَفَّين ونادى بالبراز ثم حمل فقتل من مقاتلة العجم خمسة عشر فارساً في حال البراز ثم قام ظليم في ركائبه ونادى بالحَمْلَةِ فحَمِلَ السواد على السواد ، واقتتلوا حتى حجز الليل بينهم وباتت ربيعة على وهنة من الجراح والتعب وجنود الملك جُرِحَ منهم ناسٌ كثير وباتت بنو تغلب على الثنايا متراصدةً لمن حولها من جنود العجم ، وكان بنو شيبان وظليم ومَنْ معه باتوا بذي قار دون اموالهم وحريمهم ، قيل وإنَّ الطميح اراد ان يختبر رجال ربيعة فركب جواده في ليلته تلك وكان قد ظل بيده لواء الملك الاكبر وكان معه اولاد كسرى . قال بشر ابن مروان الاسديّ ، فتخلل الطميح الى قبائل تغلب وصعد الثنية التي عليها ابو جُدابة في الحيّ من بني جَشْمٍ فابصر الطميحُ ابا جُدابة وتطرَّفَ ليدنو منه ، فلما دنا منه وثب اليه ، ولوى بيده على عنانَ جواده وقال اما الجوادُ فمن خيل ايادٍ وامّهُ من خيلنا ، واما الرجل ، فمنعني عن معرفته الحديد الذي عليه واني لا أظنّه الطميح بن عبيد الاياديّ فابتسم الطميح وقال قاتلك الله يا ابا حدابة لا تكون هذه اللعنة الا لك من بين العرب ثم قال اخبرني عن شهاب قال هو على ثنية وحده ليس معه غيره من بيوت تغلب قال والله لقد عرفته بالامسِ بحملاته ولقد وجَدْتَهُ بمنزلة قبيلة فامض معي حتى توقفني على شهاب ، قال فمضى معه الى شهاب وجمع بينهما والتقى الرجلان وتصافحا وتسالما فقال شهاب عليَّ بعمرو بن ثعلبة

---

(١٦١) كلم تكليما اي جرحه ، والكَلْم ، وكُلوم ، وكِلام اي الجرح .

واتوني بصفيةَ يا ابا جُدابة فاسرع اليهما واحضرهما الى الرجلين شهاب والطميح من اخر ساعته فلما اجتمع القوم اقبل عليهم الطميح وقال ما اراكم الا امست العجمُ مُتَفرِّجة وانتم على ضيق وضنك قالوا لا يهمك ذلك وما نحن عليه من الم الجراح فان الاجسام جريحة والقلوب صحيحة وسوف تنظر في غداة عذلنا ولهم مثاناً من الشان فقالت له صفية يا طميح ان اردت خيرا لقيت اول النهار ونصحت فيه حتى اذا عرفت بالنصيحة وليتَ بقومك فلن يستقيم بعدك احد من العرب والعجم فقال اما ما ذكرت من الفرار فوالله اني منذ شهدتُ الحروب وحضرتُ الوقائع ما ولّيت ابدا ولا عُرِفْتُ بهزيمة ، واما قومي فما منهم الا من يريد لمقامي يجوز ولن يولي الا قهراً واعلموا ان غداً يوم قتالٍ وصبر وليس يقعُ عليكم فيه من مراد لأن لواء الملك بيدي فاذا كان في صباح اليوم الثالث اعتذَرْت الى الملك في حمل لوائه واقول اني اريد ان اقاتل بقومي خاصة ثم انتدبوا لقومي مقاتلة رجالكم ولتكنْ فيهم انت يا عَمْرَوَ وانتَ يا شهاب وابوُ حدابة ، وظليم بن الحارث فان اياداً لا تولىّ الا عن قهر . وقباحة أمرٍ ، واعزِم على الفرار معهم لمساعدتكم قالت صفية يا طميح اذا انتدبت لقومك ساداتُ قومي فمن يقاتِلُ بسائر قبائل ربيعةَ ولا زعيم معها ثم انشأت صفيةَ الحجيجة تقول :

لـيس لـلـعُـجـم نَصـرٌ في عشيري إن اراد الـطـمـيحُ نَـجلُ الـكـرام
إن تَـولتْ لـنـا ايـاد هـزيماً كـان منهم هـزيمة الأعـجَـام
وَمَـلـكْـنـا الـعُـلُوَّ والـفـخر طُول الـدهـر مـنّـا وآخِـر الايّـام
ان نَصـرَ الـطـمـيح اكَـرْمُ نَصْـر حَـنـوي على بني الأعَـمْـام

فاجابها الطميح وانشأ يقول :

لا توليّ ايـادٌ الاّ بضرب وطِـعـان وبَـلْـبَـلَـةٍ وزحـام
فـاجـعـلوا الى امام قومي عَـمْـرواً في لجيم وآخـريـن كـرام
من بني تـغـلب وفيهم شهـابٌ وظـلـيـمٌ وغـالبُ بن رمـام
في سوادٍ وعُـدّةٍ وعـديـد عـاديـاتٍ الى الـعـدوّ سُوامي
لِـيولّى ايَـادُ من بَـعْـدِ عـذرٍ ويَـكون الـنجـاةُ في الأقـدام

قال : واتفق القوم على ذللك وافترق كلّ الى مكانه وباتت صفيةَ تطوف بعساكر قومها حياً بعد حيّ وهي تسمع مايقولون فَسَمعتْ اقوالاً مختلفةً قبيحةً وجميلة وتنكرت بشعر لعبد الله بن المسن الجشمي التّغلبي حيث يقول :

لم ألْقَ من طُولِ الزّمان شديدةً ... فيها العلوُ وطيّبات المفخر
مثلُ الذي أهْدَت اليه صفيّةُ ... لبني أبيها من وَسِيم المَنظَرِ
قد أكسَبَتْ شيبانُ عِزاً طائلاً ... يَبقى ويَخلُد في جميع الأعصُرِ
جاءت بها بكراً هناك غريبةً ... في المجد فائقة على ابنةِ مُنذِرِ
طافَتْ بخلق الله ثم تخيّرت ... والحُرّة البيضاء لم تتحيّر
فَلَبستُمُ فخراً على كلُّ الورى ... بصفّية وبعَمروها اللّيث الجرى
لولا صفّيّةُ ما استقامت وائِلٌ ... لجنود كسرى بالوشيح الأسمُرِ
من اجلها نالَتْ ربيعةُ مفخراً ... وتَربعت فوق النجوم الزّهر

قال ثم وان صفية لما سمعت الابيات استحسنتها ثم جاءت حتى مَرت على شهاب بن النويرة وهو جالس محتبياً بحمائل سيفه وهو يتمثل بأبياتٍ من الشعر وهو يقول :

أحْمي وأحْمِلِ بُالخميس (١٦٢) الملجب ... بُممهَذّبينَ أشاوس من تغلب
أسمُو الى الهيجاءُ أقلّبُ صُعْدَةً (١٦٣) ... عنّازةً وأهُزُّ حَدَّ مُشَطّبِ (١٦٤)
تحتي أقَبُ (١٦٥) لاخفيٌ (١٦٦) هَيْكَلِ (١٦٧) ... رَبُدٌ (١٦٨) قوائمه سبوح (١٦٩) سهلَبُ (١٧٠)

---

(١٦٢) يقال للجيش الخميس لانه خمس فرق وهي المقدّمة والقلب والميمنة ، والميسرة ، والساقة ، ويقال للرمح : خميس .

(١٦٣) صعدة ، صعّاد ، وصَعَدات ، المرّة من صَعِدَ ، من الصعود .

(١٦٤) وشطبٌ فيه شطب رَجُلٌ مشطّب في وجهه أثر من ضرب سيف ونحوه سيف مشطوب ، فيه شطب .

(١٦٥) إقّبٌ : من الخيل الضامر البطن الدقيق الخصر .

(١٦٦) ألذي يتبعه .

(١٦٧) هيكل : يقال فرس هيكل اي مرتفع .

(١٦٨) ربد ربوداً بالمكان اي اقام .

(١٦٩) السبّوح : الفرس السريع .

(١٧٠) السلهب من الرجال والخيل : الطويل .

من خيل ناجية التميمي الذي ... أزرت كرائمُهُ بخيلِ الأغرب
وعليه القيُ خيلُ كسرى في غدٍ ... وعلى كسْرُ لوائِه المتقلّب
اقفوا نُويرَةَ في جميع خصاله ... أرثُ المكارم والعزائم من ابى
بالأصليَيَنْ دعامةٌ في وائلٍ ... المانعين عن الفظيع المغضب
فإذا التقينا في غدٍ فتبيَّني ... كرّى من الأصباح حتى المغرب
وقبيضةٍ من نُصح الحُجيجة عندما ... يعلو الغبار على الخيول الشزب[171]
ان تدْعني لم تدعني لتِذمّم ... بصديقه متنحش متعيب
لأبنل دعت للرَّوع ذا افنانه ... ذو سطوة مثل الشهاب المثقب
تعلوا الفرائضُ بالفريد اذا دحت ... قسّطاً لها في نَفْحَة المتطلّب
لو كان يرضى مُقَنّب لَلَقيتُه ... ولكنتُ مُمتازاً بصحبة مقنب
لكنّ لايُرضى الحُجيجةَ مقنب[172] ... في مثل هذا العارض المتحلّب
بل هى يُرضيّها التقدّمُ مرّةً ... من بعد اخرى من قيام مرقب

قال : وباتت وائل بليلة عظيمة وصفيةُ تطوف وتدور عليهم إذا مرّت في طوافها بأبي جدابة وهو يمسح مَعارِفَ جواده وهو يقول :

غداً يوم فصل للفريقين فاصبري ... وكرّى على الأبطال كرَّ المُدوّرِ
بذلك أوصاني حصاني وقال لي ... تصبّر غداً ياتغلبيّ وشمّر
وألبستُ ثوبَ العزّ عند صباحه ... ولي عَضدٌ موصولةٌ بمذكّرِ
وتغلبُ قومي لاترام إذا غدتْ ... الى معركٍ في مُضْعَفاتِ السنور
ستَخبُر هاماتِ الاعاجُم صَحْوةً ... إذا ما التقينا ماصهارةُ منذر
ظننتم بعجل ظنّ سُوءٍ وانّهم ... يُرَقّون بيضا ذات أصل ومفخر
اشدّ عليها الطوق جيد حَدابة ... وأشنب مثل الأقحوان المنوّر
لها حَسَبٌ يا ابن الدنية في الورى ... وملك كاملاك البريّة حَميَر

---

(171) شزب الفرس : اي ضمرَه .

(172) المِقنب ، جمعها مقانب ، وهي جماعة من الخيل تجتمع للغارة .

فلما سمعت صفية كلام ابي جدابة وَعَتْ شِعْرَهُ وَعَرَفَتهُ ثم ولّت عنه فحانَ منه التفاتة اليها فاذا به يعرفها على ضَوءِ القمر ثم مَضْتَ لشأنها ، قال بشر بن مروان الأسدّي وان أخر بيوت ربيعة من ولد عمرو بن ثعلبة وشهران ويكلب لما بلغتهم الانباء عن الملك انه يريد يقصد قومهم بكر وتغلب وهم سُكّان السّواد وعلموا انه ان ظفر بهم طَحَنَهم بكَلكَلَةٍ(١٧٣) فتأهبوا لميقات قصده وقد عرفوه فنفر كل قوم ممّن كان حولهم وكان اوّل من ادركهم في تلك الليلة غانم بن شعثم من بني يكلب ، وبنو شهران وذلك بعد رجوعه من سفره مع الامير سلقمة بن الحباب ايام استفتح ارض تهامة لخمس حجج وقدم بعد ذلك مالك بن نصيب في تلك الليلة بقومه عنز ودُفعت بعدهم راياتُ بني عبد القيس عندَ الصّباح وتأهّب الناس للقتال ، قال ، وان قبائل ربيعة حضَرتْ في قومها من كل ارض ولم يتخلف منهم احد والتقوا هم وجندُ الملك واقتتلوا قتالاً شديداً يومهم ذلكُ ووقعت المكافحة فلم يزالوا يومهم ذلك في القتال والضراب والنزال الى غروب الشمس ، وبات لهؤلاء وهؤلاءِ ينيرون النيران وباتت صفية تطوف في ليلتها اشدّ الطواف وتثبيتاً لقومها اشدّ من الليلة الاولى فجازت على رجل من قومها بني عجل وكان قد أصيب بسهم في الوقائع الاولى في عينه اليمنىٰ فهي يومئذٍ عوراء ثم قُتل اخوه في ذلك اليوم وأُصيب جواده بسهم فأمسىٰ مريضاً فسمعته صفية وهو رافعٌ صوته بابيات وهو يقول :

عـــيني اليمين بها داءٌ من الـــعَوَرِ ... وذا جوادي بــه سهــم من الوتــرِ
والـيوم مـيمون في الحييّن منجدل ... يـاليته زيد بعض الشيءُ من عمري
تــا الله لا زلتُ ابــكـيــه واندبــه ... مـامُدَّ عُمْرى بضَوءِ الشمسِ والقمرِ
وفي الهجــايــر والأظلام انــدبــه ... نـعم وابـكـيـه بـالإسفار والسحَّرَ
لاقَـدَّس الله حــرقــاء ونَــقْــلَــتَــهٰـا ... الى صـفـيـة بـالـحِـدي من سفر
كـيـف الـلـقـاَء غـداً والـعين ذاهبـة ... والسـيـف ذو فَـلـل والـطَّـرف ذو زورُ
هٰـذى دواهي ابـنةُ الـعُجلى لأسلِمَت ... ولا سقـاهـا إلَـه الـعـرش بـالمطـرِ
كم قـد حـرصتُ وكم كـافحت جندهُم ... وكــم توشحت في اثـواب مصـــطبر

---

(١٧٣) الكلكل : وكلاكل : الجماعات ، والكلكل ، وكلكلة ، وكلاكل ، : الرجل القصير الغليظ الشديد .

وطـال حتى قـتـلـنـا في مـعـاطـفـه ... كَما فـنـىٰ الشـيـخ لـقمان مـع الـبشَـرِ
لأبـدّ من جـنـد كسرى في صباح غـدٍ ... والعدو بالرمح والصمصامة[174] الذَّكر
فـان نُصِـرنـا فـقـد حُـطْـنـا خفيرتنا ... وان خُـذِلـنـا انـاخـونـا على الأثـر
هـذا الذي هـو عـنـدي لستُ اَجْـحَدُه ... في آل قـومـي ولا في الـبـدو والحضر

فلما سمعته الحجيجة قالت لحاك الله يا اخا عجل واحسن اليك لقد احسنت في شيٌ وأسأتِ في غيره وتالله انك لشجاع جبان قال وبما انا شجاع جبان وما الشيٌ الذي اسأت فيه والآخر الذي أحسنتُ فيه قالت احسنتَ في صبرك في الوقائع الاولى ، واسأت في نَدَمك لشأن ذهاب عينك وقتل اخيك وشجاعتك انك مجدّ في اللقاء غداً وجُبنك في تحاربك ان لايحملك جوادك قال والله يا صفية ماكنت أكره ان ينالك الذي نالني من عَوَر العين وقتل الاخ ويكون ذلك بك وانظر كيف تصنعين واتشبّه بك واسلك طريقكِ ويل أُمك وهل كان يرضيك قَتْلُ اخيكِ وتصبرين عن البكاء عليه وتذهب عينُك ولا تأسفين عليها فكرّي في ذلك واعتبري به واني أرجو ان يحلّ بك عور وثكل[175] ولايسئوكِ ذلك فلما سَمعْتَ صفية منه ذلك لم تُحِرُ له جوابها تردّه عليه ثم ولّت عنه واحتملت له ، وويل امّك لم يقله لها أحد من قبله ولا من بعده ثم ان صفية جاوزت من عنده حتى جاءت عشيرتها وجازت حتى جاءت عسكر كسرى وذلك لكثرة الجنود ولا تستكثر احدا على احد وطافت عليهم قوماً بعد قوم لِتَقْتَبَسَ منهم خبراً فلم تزل كذلك حتىّ مرت على قوم من اياد وانّها تسمع من بعضهم اقاويل تعَّينتْ انهم اشدّ طلبا عليهم من جميع مَن حضر من جنود العرب والعجم واذا بقائل منهم يقول ياليت ربيعة حضَرتْ من كل فج لتكسر جنود الملك وتستقيم وذلك شيٌ مانااله أحد سواهم قال بعضهم لنجهدنَّ في قتل رجالهم وسبي ذراريهم وخيلهم واموالهم وليكونن اوّل عسكر الملك في غدٍ ثم قال لمن حوله ماتقولون قالوا نقول كما تقول ان الملكُ قد عَمَّنا فَضلُه وَوَسعَنا بذله فتعاقدوا بنا على نصيحة إلملك وقتلِ ربيعة فَسمعْت صَفيةُ ذلك منهم وعرفتهم فلمّا كان الفجر الأوّل اقبلت صفية على تعبئة الجيش وأنتدبت منهم لأياد فرسان قومها ومقاتلتها فلما اصطفّ الفريقان وعرفت

(١٧٤) الصمصامة : السيف الصارم الذي لا يُنثنىٰ .
(١٧٥) الثكل : اي فقدان المرأة لولدها .

مكان الطميح في قومه اياد وكان قد اعتذر الملك في حمل اللواء في ذلك اليوم فقالت لابي حدابة شأنك وشأن الثنايا بقومك فعليك كفايتهم قال انا كذلك وازيد على مرَادك ثم قالت لشهاب ابرز بفرسان قومك في لقاء الطميح وقومه قال فأسرع شهاب ثم نادت بغانم بن شعثم فأمرته ان يلحق شهابا في قومه فاسرع في ذلك ثم حثت بعيرها الى ظليم بن الحارث وامرته ان يلحق شهابا وغانما فاسرع ظليم في اثرهما وإنشأ يقول :

اليوم يوم العلق[176] المختار   يوم عظيم ظاهر الأخبار
يوم اللقاء العصبصب[177] الهوار[178]   وخيلنا مثيرة الغبار
انا ظليم جئت في مقتار   وجند كسرى يَدنُنْ للفرار
يا رُبّ ليث في الحروب ضارى   جدَّلتَهُ بصارم بَتّار

قال وتقدم ظليم في قومه بني يشكر حتى لحق شهابا ثم ان صفية ركبت بعيرها الى الحرقة وقالت لها كوني قريبة منيّ فوقفت إبنة الملك الى جانب صفية قريبةً منها ، ثم انها انتَدَبَتَ اربعة الآف فارس من قومها بني شيبان ونادت باخيها عمرو بن ثعلبة وقالت له انّي التمست الليلة جند كسرى فما سمعت علينا احرص من رهط الطميح وكان قد اوصانا بلقائهم باشد قومنا لنكسرهم واذا ولّوا هَرَباً وليّ معهم الطميح[179] ثم لايستقيم العربُ الذين هم من جند كسرى ولا العجم مالهم بعد ذلك من استقامة ثم انها انشأت تقول :

يا عمرو يا من قد أجار الحرقة   يا رأس شيبان الكُماة[180] المعرقة
يا فارس العادية المحققة   اليوم يومٌ ما العيون ارقة[181]

(176) العَلق : الدّمُ الغليظ ، والقطعة منه «عَلَقَة» .
(177) وردت في الاصل «العصنب» : اما العصبصب فهو الشديد ، ونقول : «اعصوصب اليوم» .
(178) الهوار من هار ، يهور ، هوراً : «إذا قتلهم وكب بعضهم على بعض» .
(179) قال الطبري : « . . . فارسلت اياد الى بكر سراً ، وكانوا اعواناً على بكر مع اياس بن قبيصة : أي الامرين أعجب اليكم ، أن نطير تحت ليلتنا فنذهب ، أو نقيم ونفر حين تلاقون القوم ؟ قالوا : بل تقيمون ع فاذا التقى القوم انهزمتم ، ، فلما التقى القوم في مكان من ذي قار يسمى «الجب» اجتلدوا والتحموا ، فانهزمت اياد كما وعدتهم وانهزم الفرسُ «تاريخ الطبري ٢٠٨/٢ - ٢٠٩» .
(180) الكماة جمع الكمّى ، وهو الشجاع المتكمي في سلاحه اي المتغطي المتستر بالدرع والبيضة .
(181) أرقه من الأرق ، وهو السهر ، وارقه تأريقاً اي اسهره .

إذا رأت فيه دماءً مُهرقة   والعُجْم صَر على جَمْعُهم مفترقة
مقتولة تنفر شتىً قلقة   أدرك شهابا فهو لي اليوم الثقة

أكرَمَ خيلي مَنْ سعَى أو لحقه

ثم التفتت الى الحرقة وقالت هذا آخر يوم بيننا وبين هؤلاء القوم فاسفري على عمرو وأوصيه بما شئت قال فاسفرت الحرقة على عمرو بوجه زاهر وحسن باهر وانشأت تقول :

حافظ على الحسب النفيس الارفع   بمدحجين مع الرِّماد الشرَّع
وصوارم هندية مصقولة   بسواعد موصولة لم تمنع
وسلاهب[١٨٢] من خيلكم معروفة   بالسبق عادية بكل سَّمدَعٍ[١٨٣]
واليوم يوم الفصل منك ومنهم   فاصبر لكل شديدة لم تدفع
يا عمرو ياعمرو الكفاح فتى الوغا   يا ليث غابٍ في اجتماع المجمع
أحذِر عليّ بعيد صبرك أظفرن   وتُضيِّع مجداً كان غير مضيِّع
أظهر وفاءً يافتى وعزيمةً   وكما سُمعتَ بصبركم في تبّع

وقالت الحرقة ابنة النعمان ايضاً .

فُديتُكَ من عَمرو يعد ويعتدى   به كلّ حدٍّ لايجور بهائل
رَغمنا بعمرو انف كسرى وجنده   وما كان مَرغوماً بكل القبائل
وهذا قصارى الأمر فاحمل محسّراً   لكميّك ما بين الظبا والذوابل

قال بشر بن مروان الاسدى : حدثني عبيد الله بن صُبيح الكلابيّ عن ذوّيب بن نافع الحنفي ان صفيّة قالت لاخيها الحق شهابا وهذا اليوم غير ما سلف من الايام قال فتقدم في الخيل المنتدبة من قومه وانشأ يقول :

قل ليُ لشيبان الكرام جاهدوا   حاموا على جارتكم وجالدوا
وقاتِلوا وطاعِنوا وطارِدوا   فَعِند ذا طابت لكم محامدُ

(١٨٢) السلاهب : الطويل .
(١٨٣) السَّميدَع اي السيد المَوطأ الاكناف ، بفتح السين .

ولقَيتْ مقاتِلةَ ربيعة الحيّ من اياد ، وهم يومئذٍ في قوة من قومهم في العُدّة والخيل المسوّمة والسلاح الكامل والعزّ المتطاول ، ثم ان صفية رمت من بعدهم شهران ويكلب وعنز وهم بنو عبد القيس للآخر من جند العرب الذين هم مع كسرى وجعلت بكراً وتغلب للعجم خاصة ثم انها جعلت توصي ابا جدابة وتحرّضه على خوض العساكر وانشاعت تقول :

ان الجنود حشّها طلاّبها والارقيون[184] فذا شهابها
مقْدُامها طعّانها ظرّاً بها زعيمها فارسها غلاّبها
مُرْدى الاعادى تغلب سلاّبها حميمُها حفيظُها وهّابُها
مِتْلافها مُخِلافها كسّابها وأنت من بعد الفتىَ نقّابها

ثم جعلت تحرضه ايضاً وهي تقول :

إيهاً جداب سيّد الاعراب يامعدن الطّعان والضّراب
ياطيّبَ الأحساب والأنساب قُمْ لي مقامَ سيّدي شهاب
بالعزم والحزم وبالعذاب شمرّ وقم ياويك في النقاب

قد حلّ دَيْني واقتضى حسابي

قال رواة هذه السيّرة فعند ذلك امر ابو جدابة بصائح في تغلب ان يهبط جميع من في الثنايا فهَبطُوا والتقوا هم ومن يليهم من جند كسرى وكذلك عنز وشهران ويْاهس ويكلب واقعت جند العرب وأقتتلوا قتالاً شديداً وكذلك بنو بكر وتغلب واقعت اولاد كسرى ومن معهم من جند العجم ، قال رواة هذهِ السيرة ان العجم والعرب التقوا واقتتلوا قتالاً شديداً قيل وان مقاتلة ربيعة افترقت هم وايادٌ عن قَتل وجِراح ثم انّ شهاباً برز بين الصفين وكشف عن اسمه وعرّف بنفسه ونادى بالبراز فبرز اليه مالك بن المروّح وكان أشدّ اياد من ذَوي النجدة والباس وكان يُعَدُّ بمائة فارس فالتقىٰ الرجلان واقتتلوا ساعة واختلف بينهما ضربتان سبَقُه شهاب بالضّربة جدَّلَهَ صريعا ونادى بالبراز فبرز اليه سَمِيُّهُ شهاب بن المروح أخو المقتول وكان اشجع اخوته فاقتتلا قتالا ساعة ملية واختلف بينهما ضربتان سبقه شهاب

(١٨٤) الارقيون بطون من تغلب «انظر د . جواد علي» تاريخ العرب قبل الاسلام ٢٤٩/٣ .

أبن النويرة بضربة جدّله صريعاً فتواترت فرسان ابن المروّح على شهاب وهم اثنى عشر فارساً فذهبو كلّهم بيد شهاب بن النويرة وكانوا اشدّ فرسان اياد بعد الطميح فلما قُتلوا اولاد المروّح قام شهاب بن النُويرة في ركائبه وتَمطى في يّديه ونادى بالحْملة على اياد والتقى القومُ الكرَّة الثانية ووقعت المُصابَرة ولم تُزل اياد إلاّ بقهر عظيم وقد كثر فيهم القتلُ والجُراح فعند ذلك ولّوا هَرَباً والطميح في آخِرهم ولما ولّت ايادٌ حمل شهاب بن النويرة وعمرو وظليم بمن معهم وحملت عنز واخوانهم على من يليهم فولّوا هرباً خلف اياد وأمدّها ابو جدابة ووردت تغلب على من يليهم من جند الملك لأن عمرواً وشهابا وظليما ازدادوا قبائل بني شيبانِ على اولاد الملك ومن معهم واقتتلوا قتالا شديداً وصَبرْت اولاد الملكَ بقومهم فيالك من يوم شديد فلم يزالوا في المضاربة الى غروب الشمّس وقَتلوا اولاد الملك كُلّهم وكانوا تسعةً فعند ذلكَ انهزمت جنود العجم وانفضَّتْ ، وكان الملك في قَبتّه على فراش من حرير فلوىَ عليه الطميح وقاتَلَ دونه ولم تكن حياته إلاّ به ، قال بشر بن مروان الاسدّى ، وان قبائل ربيعة تغنم كل قوم منهم انفالَ اصحابه فبينهم ومال كل قوم الى محطّة اصحابهم وكان اكثر غنائِماً بمال العجَم فملأت بنو بكر وتغلب ايديهما من الذهب والفضة والحرير والديباج والؤلؤ والدُر والياقوت والزبرجد ، وكلّ آلة حَسَنَةَ وانكَشفت عنهم الكرُوبُ ونالوا كلّ محبوب وافترقت قبائل ربيعة كلّ الى مستقرّه بعد النّصر والظّفر والعزّ الرّفيع وقالت الحرقة وابنة النّعمان في ذلك :

لـقـد حـاز بَحرُوَ مـع قـبـائـل قـومـه	فَـخِـاراً سَما فوقَ الـنّـجوم الثواقب[١٨٥]
هـم قـلـدّوا لـخُـمـاً وغـسّـان مِـنّـةً	بسمر القنا والعاديات الشوازب[١٨٦]
وكـل غلام بـالمكّـرة بـاسل	الىّ جـرىّ لـلـحـروب مـطـالب
يَـقـلب عسّالا[١٨٧] ويُـنـدِبُ صارما	وَيـلـبس يوم الـروع ثوبَ المحارب
حَمتّني بنو شيبانَ والحيُّ صلهب[١٨٨]	بقب[١٨٩] المذاكى والسيوف القواضب

---

(١٨٥) الثواقب : جمع ثاقب اي مُضيئ.

(١٨٦) الشوازب : شزب الفرس اي ضمّره ، والشزبه القوس ، والشزوب العود قبل ان يُصْلح القوس ليست بجديدة ولا خلق .

(١٨٧) عسّال ، عسل الرمح اي اهتز واضطرب فهو عَسّال .

(١٨٨) الصلهب : حجر صلهب ، وصلاهب ، اي شديد صلب ، والصلهب الطويل .

(١٨٩) القّبْ : فلان قّبَ يد فلان إذا القطعها .

نَجَوْتَ بعمرو من مطامع كيسر ... وعَدُو شهاب يومَ رُوع المقانب[190]
ولله مولاي جدابة نِعَم ما ... يدبّر في كل الامور اللوازب[191]
بأسْمُرَ عسّال وابيض قاطع ... واكمت[192] وردي وعين مُراقب
وكم خرج منه علينا بغارةٍ ... وكم حملة يوم التقاء الكتائب

وقال شهاب بن نويرة في ذلك :

أجَرْنَا للحجيجة مَنْ أجارَتْ ... بتغلب قومنا أسْدَ البّطاح
بحيّ حلاحليٍّ تغلبيّ ... يزور الرّوع بالسّمر المتاح[193]
وكل مشقّف لَدْنٍ قويم ... وكلّ مضّمر نهدٍ وقاح[194]
وكلّ حلاحليّ ارقميّ ... رَبيط الجأش[195] موسوم الصّباح
أُسُودٌ من بني جشم بن بكر ... مواصلة الغدوّ الى الرّواح
اَجَبْنا داعى الغمراتِ لمّا ... دعا والنّفس تخفق في جناح
فأفَعَمْتُ الثنايا غير عيٍّ ... بكلّ كتيبة شعوا روارح
شهدتُ العَجَم مشهد ذى حفاظ ... أبوه نويرة ليث الكفاح
فلم الث في الوغا زَنْدي بكأب ... وقد نادى الطميحُ بلا براح
بلى أقْصَدْتُ نحو البؤسْ بحراً ... من الخطّى بمركب بالرّماح
وكان سفينةُ القِبّ[196] المذاكى ... وكان اللجّ[197] من عَلَقٍ[198] متاح[199]

---

(١٩٠) القانب : اي الذئب العوام ، والقناب وتر القوس .

(١٩١) لزب : اشتدّ وثبت ، واللزبة الشدّة .

(١٩٢) اكمت : لون الفرس ، وهو ما بين اللون الاسود والأحمر .

(١٩٣) المتاح : الطويل الممتد ، يقال يوم متاح ، وفرس متاح ، والماتح البعيد ، ومتوح الشيْ قلعه ، ومتح متحاً : نزعه .

(١٩٤) من وقح يقح ، واجترأ على القبائح ، ووقح حافر الدابة اي صلب .

(١٩٥) الجائش : جاش قلبه اي اضطرب من حزن او فزع ، والجأش والجؤوش اي القلب والصدر ، ويقال رابط الجأش اي شجاع .

(١٩٦) القِبُّ : رئيس القوم وسيدهم .

(١٩٧) تمادي معه في الخصومة .

(١٩٨) العلق : جمع اعلاق وعلوق : من عِلْم او شرٍّ ، وترد بمعنى بحبّه ويتبَعهُ .

(١٩٩) المُتاح : الطويل «ويوم متاح» اي يوم طويل .

فـكـم من عـافـر الخدّين فيهـا وكـم يـوم الـكـريهةِ منْ جـراح
فـأصَبحَ من حَمَيناهُ مُحاطاً من الأدنـاس بـالـبيض الصِفـاح
تُـنـاديـنـا صفـيـة بـعـد عَصْبٍ وأدْرَكَ حـشُّـهـا هَـيْض[200] الجناح
فواريتُ الضعـائِن حين نـادت وجـئتُ مشـمّـراً شاكى السّلاحِ
أنـاصِـرُ مـعشراً كـانوا بُدُوْنـا بـقـطـع أواصـرٍ فـلـيلـح لاحى
هُـمُ قـتَـلوُا كـلـيَب بـغير جرم ولم يـسـقـوه من مـاء قـراح
وثـار مـهـلـهـل لِـدمِا كـليبٍ فَشَـدُّوا أزرَ جسّـاس الـرّمـاح
وقـالـوا لاسبـيـل الـيـه حتى نـغـيّب بـالصـفـائح والصَرْاحِ
لَـعَمْرَ ابي لَـقـد غـطّيتُ حـربـاً بعـد سجيرة[201] البـطل المشاح[202]
الا يـا عـينُ فـابـكي لي كـلـيـبـا مـعـاً ومـهـلـهلا وابن الـوشاح
ومـنصوراً ومـيـمـونـا وبَـكـراً وفـارسٌ لاحق الـفـرس الـوقـاح
وحـنـظـلـةً فـابـكـيـه وعـمـروا ولا يـرقـا لـعـمـرو والصـبـاح
نَـعَـمْ وأستـعـبري لأبني ربـيـعِ فـيـالكِ من دمٍ غير المبـاح
وشعـشـمُ قـد تـؤرّقني دِمـاه غـداة سقوه من موت ذبـاح
ونـمـراً والنَصيـب وعـبـد قـيسِ وذو الـزّوزين غـيـلٌ بـذى نـطـاح
وذو الـرمحين قـد قُـتِـلو اسنـاهـا بـنـو بـكـر واذروا بـالـرّيـاحِ
وجـابـر والمروّح يوم قـيـنـا وَمـرثـد الـمجـدّل في الـبـطـاحِ
وآل مـنـبـه لم يُـذْخِـروُهُـمْ بـواردةٍ واخـرى بـالـلـيـاح
وعـبـد الله والمحروم اوْدوا بـايـدى مـعسر «سُم» قـبـاح
فوارس تـغـلـب قُـتـلوا وإنـاً قَـتَـلْـنـا منهم يوم الصّبـاح
قـتـلـنـا جَـحْـدراً وأبـا تميم وَمْـروانـا وكـبشَ بني رَبْـاح

---

(٢٠٠) هَيْضَ : نهيضاً اي هَيجَه .

(٢٠١) سَجَر سجراً الشيَ : ارسله ، وانسجرت الأبل في سيرها اي تتابعت ، والسجير وسَجراء ، اي الصديق الوفي .

(٢٠٢) مشح : اي أجدب ، وصعب .

وزبــداً والحبــابَ وعــبــدَوُدَّ ... وذُهْلاً والـعُـبَـيْس وذُو الـفلاحِ
وعــمــرانــاً وجيرانــاً وبــكــراً ... وآل عــبــيــد في حــدّ الـلـقــاح
ويوم عمارةَ يوم كــريــه ... ويـوم الـطـلـح اشنـع من طلاح
الا يــا جــنــد كسرى لاخــذتم ... جــمــعتم بين مــلــحيّ ولاح
الايــا جــنــد كسرى لاخــذتم ... فــشورتم شهــابــاً في السلاح
اَغَــرتْ لاجــل عــرضي لــقومي ... بَـدَوُا بـالـغدر فـينا والـتلاحي

فاجابه ابن زائدة التغلبي واسمهُ قتيدُ :

عــداني بــالـذنـائِب مـا عـداني ... وشيّب مِـفـرَقي قـبـل الاوان
بني ذُهْـل قَـتِـيـل الـعُـجْـم أرْدَوُا ... كـلـيبهـمُ بمطـرورِ السّـنـان
فصـارت طَّـعـنـة بـالـطـعن دامَت ... على كـل الـظـغْـائِن والـزّمـان
وعــاني مِنْ صَـفـيّـةَ يوم بؤسٍ ... ولـو كــان السرور لما دعــاني
دَوّاه للاعــاجــم من مــئــات ... الوف يَـقْـتِـحـمْنَ بها الأمـاني
يَـرُومُونَ إبـنـةَ الـنـعمان سبيـاً ... وكـم من شطـبـة غير الحصـانِ
وكـم من ضربـة تـابـا عـليهـا ... وعـاجـل طـعـنـة يوم الـرّهـانِ
وقـد غُصَّتْ فوارُسهـا بـريقٍ ... وسلماهـم هـنـالك فـهـو شانِ
لانهم بـنـو عـمَـرو وذخـر ... تـرَجّى لـلـزعـازع والأمـانِ
اَجـارَتْ وهي واثـقـةٌ بَـعـدْوى ... وكَـرّى في الـعَـجاج الـمُسْتَّبانِ
بـتـغـلب لاعـدمت بـكـرّ خيلي ... وعَـدْوِ شهـاب في ضـيق المكـان
دَعتْ أمُّ المكـارم فـاَسـتَـجـبْـنـا ... حـجـيـجـةَ وائـل في عُـنـفُوانِ
بـكِـلّ مُضَـمّـرِ عَـبْـلٍ شواه ... عـقـالـيّ وذو شطب يماني
تُـقـارِعُ منَ مَـعـدّ مـا اسـتـطَـعـنـا ... ونَـحـمي الـعِرْضَ من سِمَةِ الـهَوان
نَسـيْتم يـا بني بـكـر لـقومي ... مـقـاماً منه يبكى الفَرْقد انِ[٢٠٣]

(٢٠٣) الفرقدان : نجمان قريبان من القطب .

ويوم سوارةُ والخيل عُضّت ... فوارسها الشعاة من الحزّانِ

اری آل القبائِل مِنْ مَعَدّ ... أذاعَتْ في ربيعةَ بالتواني

وتُنسَوْا من ربيعةَ يَومْ فلَحٍ ... وايام العُوَيرة والعسران

ازين النقع فوقها سماء ... عَزاليها دم كالارَجُوان

سَنُحمِلُ عنكُمُ اعباء مجد ... إذا لم يحملاه الأبهران[٢٠٤]

ونكفي مِنْ يغيبُ اذا حَضَرنا ... ونحن الكافُلون لدى المعاني

اتِيةٌ يا بَني مُضَرَ علينا ... كَتيبهِ الاوّلين بني فُلانِ

وما خير الذراع بغير كفٍّ ... وما خير المشل[٢٠٥] بلارهانِ

اذا صينَ الجواد لغير روع ... فما هو في البحيرة بالمصانِ

اذا العذراء عفّت عن عيوب ... فما هي بالحجائلِ بالحصان

اذا لم ينجلي الصَّفان يوما ... عن العلق المِشر النهنهانِ

فما فَرحَ السِّباعُ وما ترخىّ ... نسُور الجوّ في ذاك المكان

أيعفونا الا عاجُم عن صعيد ... بُكِلِّ الطرف مثل الطيلسان[٢٠٦]

يا جنادٍ كشاقد ... بكل مشوهٍ علج مشانِ

وقد حشدت بنو إسحاق فيها ... كثيرانٍ بتلقاء الدُّخانِ

وعلمكُمُ بذلكُمُ محيطٌ ... وانتم دعوةُ الدّاعى المدانى

الا نخشى عليكم بعد هذا ... بقايا الدهر في كونٍ وكانِ

وقال ظليم بن الحارث بن حلزَةَ اليشكري[٢٠٧] في يوم ذي‌قار :

---

(٢٠٤) الابهران : العرقان اللذان يخرجان من القلب ، ومنهما تتشعب ، والابهر : الظهر ، ويقال فلان شديد الابهر ، اي شديد الظهر.

(٢٠٥) المشل : من مشل مشولاً وامتشل السيف اي استله .

(٢٠٦) الطيلسان : كساء اخضر يلبسه الخواص من المشايخ والعلماء .

(٢٠٧) كان والده الحارث بن حلزة اليشكري يحضر مجالس عمرو بن هند ملك الحيرة وانظر د . جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ٣/٢٤٨-٢٤٩) .

اهاَجَك طيفٌ زار من أمّ تغلب ... ففاض بدمع الوالهِ المُتَكَسّبِ
بهيج مَتبول الفُؤاد متيمّاً ... بذات الثرى امّ الوشاحَينْ زينب
تذكرّت ايّامَ الصبا وذوابتي ... تميس متى سَمَبْنَ من فوق منكبي
وزينب لا تلحى إذا هي أقبلت ... تَمَثّلَ مُلْد ألشادن المترّبَ
خَبَربَجةٌ تضنى الحليمَ إذا رَنَتَ ... ياَحْورَ فتّانٍ فَتورُ محجّبَ
بُليت لعمري في الشّباب بغادةٍ ... منعّمة هيفاء غيداء مكعّبِ
فما زلتُ عصراً في حبائل زينب ... الى ان كساني الدّهرُ حلة أشيب
ونفضت عن فصل الحسان مولياً ... الى صَهَوُاتِ عن عناجيج شُزّبِ
الى كل خنذيذ(٢٠٨) يسابق ظِلَّهُ ... وكلّ رقيق الشَفرتَينْ مشطّب
وسابغة(٢٠٩) موضونة تبعية ... أسامي بها الاعداء في كل موكب
وأحضر فيها الرّوع لا متورّعاً ... ولابَجبانٍ في الكريهةِ ثعلَبُ
اذا ثار نَقْعُ الخيل في الجّو خِلْتَني ... كشيطان مرج في العجاج تشعّب
أغادرِ أسدَ الحرب صَرْعى بعاسل ... وابيض قطّاع بكفّ مرسّب
أتابُع فيها الكرَّ عند زحامها ... باقبح راحي الصّدر اكمْتُ سلهبِ(٢١٠)
شهدتُ به يوم العظيم فلم اخم(٢١١) ... ويوم أراطا والغُوَير وزَرْقَبُ
ومن ارض غيلان سمْوتُ بغارةٍ ... وكنتُ لها كالراصد المترقب
وكنت أمامَ الخيل في الغارتا ةَ ... وعُلوأبها طواراً لما بين مرقب
الى ان لقيتُ العُجمُ والقومَ سادةً ... وفتيان بكر كالسّعير الملّهب
فَسِمْتُ بقومي بارق الموت عامِداً ... ووسْطُهُم من مزنة المتلّحب
واعلَنْتُ صوتي وأعْترفتُ بمعشري ... فأوْلَجُتُم في مقْنَبَ بعد مقنب
وأصلَيتُهُم ما أوقَد الحقُّ قبلهم ... فساقوا كما هُا بالوشيج المذّرب
بكاساتِ هندىّ وخوضٍ من الردىّ ... وساقٍ كميّ القلب لم يتهيّب

---

(٢٠٨) الخِنْذيذ : الشجاع البُهمة الذي لا يهتدى لقتاله ، والخنذيذ ، الطويل من الخيل .

(٢٠٩) السابغ : الطويل الوافي ، او الدرع السابغة .

(٢١٠) السلهب : من الرجال والخيل الطويل .

(٢١١) اخمّ : من أخمّ اللحم : اي أنتن وفسدت رائحته .

فما بَرِحُوا حتى تجلّى غبارهُا ... وَاَعْقَبَتِ العُجمان أقبَحَ مكسَبَ
فلله قوم تغلبيون شمَّرُوا ... لقد نصحوا في يوم قار المطيّب
سَمَتْ بشهابٍ نَخوةً تغلبيةً ... فَنعْمَ المُرَّجى عند يوم عَصَبْصَبِ[212]
تزاوَرَ عمرواً حين ناداه قانعا ... فلما دعا حاز الثنايا بتغلب
نازعنُ ولاّجُ الثغورَ غرمَرمٌ ... كثيُر الوَّغاجّم الصهيل مذرّب
أجابَ إبنةَ العجليَّ منهم رجالهاَ ... شِهابٌ وما كان الفتى بمُغَلّبِ
فيا ابنَ الذي حازَ الفتاكةِ قبله ... اليسَ نجيب القومَ يأتي بمنجب

فَدَعْ عنكَ أظْغَاناً تولت نحوسها ... ولا تبعتها بالمقالِ المخيبَ
فَمَنْ شئتُ تبكيه بَكَينا مُصَابَهُ ... مُصاب الجواد التّغلبُّي وجندب
اولئكَ أقوامٌ دَهانَا مُصابُهُم ... وأعْقَبَنا الخُسْران في كل معقب
وقد تَمَّ شَعثُ القوم منّا ومنكمُ ... بشأن امرئ كالبارق المتلّهب
فَدَعْ وائلاً والصُّلح يَاْبَن نُويرة ... واذَن بصلح الوائليّين وأرْغبِ
فنعم الفتى في كّلَ أَحْياء ربيعةٍ ... وانت لزارُ الضَّيْغم المتغلّبِ

وقال عمرو بن ثعلبة الشيباني في ذلك اليوم :

قَضيتَ بَعْضَ مغارم المديون ... وحَمَيتَ جارةَ بيتنا وظَعيني
وَشِهْدتَ ذا قار بأكرم مشهدٍ ... من آل شيبان وأُسُدَ عرين
بفوارسِ الحيَّيْن بكرٌ وتَغلبٌ ... أَكْرَمْ بهم في ملتقى الحيَّيْنِ
وقَفْوتَ للبراق يوم عمارة ... والبيض تخطر في ملأ وتَرين
وَحَمْيتَ حَمْيَتهُ وقتَ مقامَهُ ... ونصبتَ للأعلاج صلب حَيَّنْي
وصعقَت هامةَ خطرش بمهنّدٍ ... وصرعتُ شاه وحسببها تردينى
وتَعَرّفَتني جُنْدُ كِسْرى أنّني ... أَغْشَى العجاجِ وأركَبُ الصفَيْن
وأخُوضُ غَمْرَتَها باسمرٍ زاغبٍ ... وانازل الأعلاج كالمرعونِ
حُطْنا وقارَعْنَا كتائب جَمّةٍ ... كالنّمل او كالعارض المرثونِ
وتصبَّرتْ شيبانُ حتّى ألبِسَتْ ... يومُ المكارمِ مُعلم الطَّرفين

---

(٢١٢) يوم عصبصب : اي شديد .

يا يوم ذي قار سُقيتَ من الحيا ... غيثاً تُغسّل من دم الحيَّيْنِ

تجلّم بني شيبان شرفِ العُلى ... وترتعي في منزل القمرين

عَمْري لقد عطفَتْ علينا تغلبٌ ... وشهابُها اللحّاحُ ذو الرُمحَينِ

سَدَّ الثنايا حين أُبلِسَ عَزْمُنا ... وأرْتجّ مرتعنا لداهيَتْين

فانجالت الظلماء يا ابن نويرة ... وتجلّت الغمّاء عن ظَفْرين

وظليم لا أنْسَى هناك مقامَهُ ... وجدابةٌ ومعمرّ من قرين

تلك الفوارس ليسَ يَجْحدَ فَضْلَهُمْ ... إلاّ ذميمَ العِرض والأبوَيْن

هُمُ وازرُونا بالنّجاء وَبرقها ... وَصَلْوا لهيبَ النار في الصَدَّفين (٢١٣)

بجحافل وصواهل (٢١٤) وعواسل (٢١٥) ... وتَهَمّهُم (٢١٦) وتغمغم (٢١٧) وأنيْن

وترّغم وتكرُّم وتقدّم ... وتبسّمٍ لبروقِ ذاك الحَيْن

ان أنس لا أُنْسى شهابٌ وعطفَهُ ... شلّتَ متى انساه كفٌّ يميني

وبُليتُ بالرُّعب القبيح لدى الوغا ... وسُلْيتُ عَزمي يوم حمّ قطيني

فهو المقدّم والمشرّقُ وائلاً ... وأبوه ذو العلياء والحسَبَيْن

قوم هُمُ قومي وفخري فَخْرُهُم ... ومُعارُهم عاري وسُوء ظنوني

ان الأراقم سادةٌ في وائل ... بشهادتي وشهادة الثقلين

قُل لي لسيّد وائل وزعيمها ... مَنْ تبك ابلكِ رزاءة بجنينِ

شَلّتْ يدا جسّاسٌ ماتَ بِعَارهِ ... فلا جل راحلة أثار قروني

قد كان يعزم للبسوس وجارها ... الفا هجاءِ القوم من يبرينِ

ويعيشُ ذا قوم هنالك خيرةً ... في عُقلة مما حواه قطيني

بل كان بالجار المسلّم مولّهاً ... فرأى القطيعة أصْوَبَ الرّأيَيْن

وأغارَ يَطْعَنُ سيّداً في ناقةٍ ... ويكبّه جهراً على العِرنين

قد أهلك الدّهرُ الغُواة بفعلهم ... فأنعم شهاب وقرّةُ العينين

---

(٢١٣) كثير الصدّ والاعراض.

(٢١٤) الصواهل : جمع الصاهلة ، وهو حِدة الصوت ، والصهيل للخيل.

(٢١٥) عواسل : من عسل الرمح اي أشتد اهتزازه ، واضطرب ، ومفردها عسل.

(٢١٦) تهمهم الشيْ : اي طلبه وتحسسه ، وتهمهم الرأس اي فلاّه.

(٢١٧) تغمغم : هو الغريق الذي تحت الماء الذي لم يبين كلامه ، وتدافقت فوقه الامواج.

وقالت الحُرقة ابنة النّعمان بن المنذر تمدح صفية وقومها :

المجدُ والشرفُ الجسيمُ الأرفعُ | لصفيّة في قومها يتوقع
ذاتَ الحجابِ لغيرِ يوم كريهةٍ | ولدى الهياجُ يُحَلُّ عنها البرقعُ
نطقاء لا لوصالِ خِلٍّ نطقُها | لا بل فصاحتها العوالي تُسْمَعُ
لا أنسَ ليلةً اذا نزلتُ بسَوْحها | والقلبُ يخفقُ والنواظر تَدْمَعُ
والنفْسُ في غمراتِ حرب فادح | وَلَها الفؤاد كئيبةً اتفَجَّع
مطرودةٌ من بعد قتْلِ أبوتي | ما أنْ أجارُ ولم لا يَسَعْنِ المضجع
وحططتُ رحلَ مطيّةٍ قد أعورّت | لم تلق جاراً فهيَ رَجْواً هيجع[218]
ويئِسْتُ من جارٍ يُجيرُ تكرّماً | وحَلتُ من عيشي هُناك لأنسَعُ
وأتاني الرّاعي يحفّ قناعها | فأُجِرْتُ وأندَمَلْتُ[219] هناك الأضلعُ
وتوارَد وأحوض المنيّة دونَ أن | تُسبى خُفَيْرَةُ أختهم وأستجمعوا
والحّ كِسْرى بالجنود عليهُم | وطُمَيحُ يُرْدفُ بالكيّول[220] وَيَدْفَعُ
كَمْ زارَهُم من غارةٍ مَلْمُومة | بالقبِّ تعطِف والأسنة تَلْمعُ
وَهُمُ عليها واردون بعزمهم | والنّصر تحت لوائهم يتزَعْزعُ
حتى غدا الفرسُّ في أجنادهِ | والقوم جَرْحى والمذاكي صُلّعُ
فهناك أُرْجفتِ البلادُ[221] ومن بها | الاحياءُ مَنْ يَمنٍ وَمَنْ يَتربّعُ
وتجيز وافتنتَ صفيةُ مفخراً | وَدَعَتْ قبائل شرّها لا يُقلع
منها شهاب والظليم وشعثم | وجدابة في حرّها يَتلَفّعُ
اجامهم فيها الصوارمُ والقنا | والسّابرية[222] والوشيج[223] الشّرّع[224]

---

(٢١٨) هجع ، هجوعاً ، وتهاجعاً : اي نام ليلاً نوماً مطلقاً ، ويقال : هجع جوعه هجعاً فهجع جوعه هجوعاً ، اي كسره فأنكسر ، ويقال هجعت اليه فخدعني اي استنمت اليه واستسلمت له فخدعني .

(٢١٩) اندمل الجرح ، اي قارب الشفاء .

(٢٢٠) وردت في الأصل «الكيوذ» ، والكيّول : آخر صفوف الجيش في الحرب وهو من كال الزند اذا كبا ولم يخرج ناراً فشبه مؤخر الصفوف به لأن من كان فيه لا يقاتل الجبان .

(٢٢١) وردت في الأصل «البلاء» .

(٢٢٢) السابرية : من الثياب الرقيقة الجيدة ، وكذلك من الدروع الدقيقة المحكمة .

(٢٢٣) الوشيج ، واحدتها وشيجة وهي ضرب من الشجر يصنع منه الرماح وقيل هي عامة الرماح .

(٢٢٤) الشرع : من شرع - شرْعاً ، وشروعاً الرماح فشرعت ، هي سددها وصوبها ، فتسددت وتصوبت ، وشرع عليه الرمح اي سدّده اليه .

فـرأيتُ عـنـد الخيل فيها شعثماً [٢٢٥]	مـثـل الحمار الى الموارد يـقـلـع
وجـدابـة كـالـفـحـل يضرب أنـيـقـا	وشهـابُ يَضربُ بـالحسامِ ويوجِعُ
عـالي الهديـر أخو شقـاشق اربـع	وخـفـارهـا في المازقين تـدعـدع
وظـليم كـالـلـيث الهصور [٢٢٦] زئيره	يـدع الـكلاب ضُـراطُـهـا لا يـقـلـع

قال رواة هذه السيرة ان الملك ندم على سوء فعله وقبيح عمله بهم ندماً شديداً وأسف على قتل بني ماء السماء ، وكان بهم يطوّل يده على بلاد العرب ، قال ثم انه سأل هل بقى منهم أحد فأخبر انه بقى منهم رجل في بلاد مراد في مدينة براقش يقال له المنذر بن الرّيان وكان في معرّس لخم الذي كانَ منه ينقله اسلافه وقد كان يزورهم الى مدينتهم فوجّه اليه كسرى وأرسل اليه يعتذره فيما مضى وأنْ يرجَع في مقام النعمان بن المنذر وقال له ان كنت ترغب في الملك والنّعيم الذي كانوا فيه (أهلك) [٢٢٧] فالعجل انا أزِدْكَ على عوائدهم ، ثم توجُهوا رسُلُ الملك بذلك بعد ان أَعدّوا الزّادِ والمبلّغ ، قال بشر بن مروان الأسديّ وان الحُرقة أقامت عند صفية على احسن حال وابلُها التي رفدها عمرُو بن ثعلبة تَغْدُو مِنْ عِندِها سارحةً وتؤبُ اليها رائحة وهي على البرّ والرّفق ثم انها تذاكرَتَها ملوك بني جَفْنَة من بعد ذلك فأمتدت اليها اعناقُهُم وطالت نفوسهم رغبة في تزويجها فركب قوم من مندب بني جفنة من ملوكهم الى بني شيبان ان يَخْطبوها لأولادهم اذا لم يرغب اليها أحدُ الرجال الثلاثة ، اما عمرو بن ثعلبة ، واما شهاب بن النويرة واما ابو جدابة بن هاني ، قال بعضهم امّا سيّد الحيّين فلا سبيل اليهما يتقدمها أحد ان كان لها رغبةً فيهما واما ابو جدابة فكلّا ان ينال منها منالاً فزجر القائل رجلٌ يقال له جابر بن منصور وقال والله ما في تغلب ولا في شيبان له نظير يقايسه في جميع خصاله في الكفاية والنكاية فسكت المتكلّم وسار القوم حتى نزلوا على شهاب بن نويرة فأستقبلهم بأحسن قبول وأكرمهم بكرامة الملوك ثم انّهم اقبلوا عليه فشكرُوا له ولقومه حُسْنَ صنيعهم وعصَبيتهم وصبرهم على الاهوال التي ما صبر

---

(٢٢٥) من شعث ، شعثاً ، وشعوثة الشعر ، اي كان مُغبّراً متلبداً ، فصاحبه اشعث ، وشعث الامر : اي انتشر ، وشعث الشيئ اي فرقه ، وشعث عنه اي دافع .

(٢٢٦) الهصور : اي الأسد الشديد الذي يفترس .

(٢٢٧) اضافة من عندنا .

عليها أحدٌ غيرهم من سائر العرب ثم قالوا يا شهاب ان ابنة النعمان قد نجت بكم مما كانت تحاذر غير انها أمست مستوحشة وحيدة غريبة ولابدّ لها من انسان ، إمّا منكم فأنتم المقدّمون يا هؤلاء الثلاثة يرضى احدكم لها فأيكم رغب اليها فزوجوه وان لم يكن لكم رغبة زوّجناها لبعض اولادنا ممّن ترضون لها ، قال فلما سمع شهاب قولهم أمر بأحضار ابي جدابة وعرض عليه مقالتهم فاتفقا على رأي وقالا الحديث راجع الى عمرو بن ثعلبة ، وأمّا نحن يا ذا الرّجلين فلا نتزوج ولا نُزوِّج ولا لنا في ذلك نصيب بل الرأي والحظ لفارس الحيّ من شيبان عمرو بن ثعلبة ولأخته صفية فشأنكم وشأن الطريق اليهما فقد كفيناكم أنفسنا فلا لنا ولا علينا بل ان صدق ظنُّنا في سيد بني شيبان انه لا يزوج ولا يتزوج بل ينتظر فيها رأى ابن عمّها المنذر بن الرّيان على قُرْبة وشط[228] مزاره[229] ولم يكن الرجلان سمعا ذلك من عمرو بن ثعلبة فقالوا لهما قد سمعتما ذلك من عمرو فنكتفي به جَواباً أم ظنٌّ منكما والظنٌّ يخطيءُ ويصيب ، قالا بل هو ظنٌّ وتقديرٌ وسوفَ تَعْرفون تقديرنا ولن تنالوا بذلك إذ لم يكن سماعا فركب القوم وساروا الى فارس الحيّ من شيبان فنزلوا بعمرو بن ثعلبة فأنزلهم منزل الملوك وأكرمهم بكرامة الملوك وأقاموا عنده حتى قضى من كرامتهم وطراً وخاطَبوه بمثل الخطابّ الاوّل الذي خاطبوا به شهاب بن النويرة ولم يُعْلِموه بخطاب شهاب لهم عن عمرو بن ثعلبة ، قال : فَرَد عليهم الجواب ان لا أتزوّج ولا أُزَوِّجَ وانما الأمر الى صفيّة وسأمُرُ لكم الى عندها غير انّي أظنُّ ظنّاً أُعلِمُكُم به قالوا وما ذاك يا عمرو قال انها تدفع الامر في ذلك الى فارس الحيّ من تغلب قالوا سمِعْته منها فنجتزي به جواباً أم ظنٌّ فالظنّ يُخطيءُ ويصيب قال بل هو ظنّ قالوا فأمر لنا اليها فقد بُعثنا اليكم قال فوجّه عمرو بن ثعلبة بعض أمائه الى صفية فأعلمتها فردّتْ اليه الجواب تقول : الرأي في ذلك متعلّق بفارسي الحيّ من تغلب واني أظنّ ان لا يتقدم على ابن عمّها المنذر بن الرّيان احدٌ على بُعْد أرضه وانها مُصانة مكرّمة لوصوله وليس هو بمتخلّف عنها فأعلَموا ذلك ولا تُعرِضوا بأسباب الخيانة والخنا[230] فليس فينا ولا تظنوا بنا إلاّ خيراً ، فلما أخبرهم عمرو بجواب صفية لم يكن لهم بعد ذلك قول قال فودَّعوا عمرواً وشَدّوا على ركابهم وانصرفوا رائحين ، قال :

---

(٢٢٨) البيت او غيره .

(٢٢٩) موضع الزيارة ، اي بُعدَ .

(٢٣٠) الفحش في الكلام .

فلما وصلوا الى قومهم سألوهم ما بعدهم فأعلموهم الخبر عن آخره فعجب القوم من حُسْن أخلاقهم وعِظَمِ رعايتهم وابعادهم الادناس والشبه الردّيَة عليهم ان لا يدخل عليهم شيء يعابوا به وعلِموا انهم مِنْ اعزّ العرب مكاناً ، قال بشر بن مروان الأسديّ : ان وَفْدَ الملك كسرى وفدوا على المنذر بن الرّيان وقد سبقت اليه الانباء بجميع الاحوال وأبلغوه سلام كِسرى ومعذرته ورسالته فلما سمعهم بكا بكاءاً شديداً على بني ماء السماء ثم استرجع منه على بكائه فأقاموا عنده شهراً كاملاً حتى استراحوا ثم جهزّهم بأحسن الجهاز من الكُسْوة النفيسة والركائب المؤديّة والزاد الكثير المبلغ . والمال الوافي ، لأن المنذر بن الريان كان من كُرماء الملوك واجوادها ثم قال لهم قد قبِلتُ معذرته اذ لا يمكن إلّا ذلك وانا من بعدكم فلا بدَّ من المسير لأجل بني ماء السماء حتى أملَهُم الى مجنّتهم قال فودعوا المنذر بن الريّان وانصرفوا رائحين بالمواهب السخية والعطايا الجزيلة واليد الطويلة ثمَّ ان المنذر بن الريّان تأهّب للسّفر بعد ذلكَ واعدَّ الازواد الكثيرة والركائب النجيبة وتوجّه الى ارض الشام في قوة من قومه واقاربه ، وسارَ المنذر بن الرّيان وانشأ يقول :

يا حزن قلبي ودمع العَين لم يكف ... كم تهملان على ماض من السلف
فالروح باق ولم يغنى كما ذهبوا ... والجسم امرضُ والاحشاءُ لم تُحَف
خاب الرّجاء فلن ارجو وقد هَلَكُوا ... قومٌ ابادهُم دهرٌ من التّلف
قومٌ بهم عزّتِ الاعرابُ من يَمَنٍ ... وأسّسوا نائلاً[231] كالوَجْل من اطف[232]
يا رائد الموت كم صادفت عندهُم ... من السّلاح وقِبٌ[233] سُبّح[234] جُنُف[235]
فلم نُخفِكَ ولم نُخشيكَ بطشَهُم ... ولا رجوتُ لهم شيئاً من التّحُف
أنْعِم صباحاً ولا حُيّيتَ من بَلدٍ ... ماتُوا بها سادةَ الاملاك مِن أسَف

---

(٢٣١) العطية ، ما يُنال .

(٢٣٢) رفعه ليرميه به ، كالسيف او نحوه ، قرّبه اليه مهدداً .

(٢٣٣) القِبُّ : رئيس القوم وسيّدهم .

(٢٣٤) سبح : تصرف في معاشه ، والفرسُ مدَّ يديه في الجريَ .

(٢٣٥) الظالم في وصية او حكم .

قال : ثم ان المنذر بن الريّان سارَ من موضعه سيرا رفيقاً هو ومن معه لئلا يقطعوا ركائبهم ولا يضرّ بها السفر حتى نزل بالحيرة[٢٣٦] وبها من الوحشة كأنها التي كانت فيه ومن الخراب كالعمران في ايام بني ماء السماء فاسِف من ذلك اسفاً شديداً ، وانشأ يقول :

ابكي وأُبكي مشفعاً لبكائي ... في كلّ صبحٍ بعد كلّ مَساء
واعيرُ دمعاً فائضا لا ناضبا ... متخلّصاً من داخلِ الأحشاء
لهفي على قوم الملوك بني ابي ... زين الملوك وصفوة النجباء
كانوا اماماً في الخطوب وعصمةً ... في حادث المكروه والنعماء
لا عاشت الايام بعد فنائهُم ... ونقّضت الدُنيا بعد فناء
ومضى الزّمان ومَنْ به في حدة ... وقطيعة مبتوتة بيلاء
يا ويح نفسي ليتَ جسمي عاجلاً ... في ملحدٍ من شوقةٍ بلقاء
تذري عليه العاصفات وليتني ... لم يُقضَ لي سفر الى البيداء
خَليتْ قصورُهم وبات قَطينُهم ... وتتابعوا في نقمةٍ وشقاء

قال رواة هذه السيرة ، ان المنذر بن الريّان اقام بالحيرة[٢٣٧] يبكي قومه برهةً من زمانه ثم وجّه الى كسرى يسأله عن بني ماء السماء ان يأذن لرسوله في دفنهم بعد ان يُعلِموه بمكانهم[٢٣٨] فتقدمت رسله حتى وقفوا بباب الملك واستأذنوا الحاجب في الدخول بعد ان اعلموا الملك انهم من قبل المنذر بن الريّان فسُرّ بهم الملك سروراً كثيراً واسرع لهم بالإذن فتقدموا وسلّموا عليه فلما مُثلوا بين يديه اذن لهم بالجلوس فجلسوا وسألهم عن المنذر بن الريّان فاخبروه انه بالحيرة[٢٣٩] يبكي على قومه قال الملك ومن حوله غيرُ ملوم وانّي لقسيمه في رزئه[٢٤٠] ولقد اخطأت على نفسي وأسأت في رأي ثم اعلموه برسالته فانعم لهم وامر بتقديمهم فقدمُوا الى دار الضيافة فاكرموا في انفسهم واكرمت دوابّهم ، ثم ان الملك امر من يدلّهم على توابيت بني ماء السماء وأمر لهم بنجائِب من اجل الابل وحملت

(٢٣٦) وردت في الاصل دمشق .
(٢٣٧) وردت في الاصل دمشق .
(٢٣٨) وردت في الاصل (بمكانه) .
(٢٣٩) وردت الي الاصل (بدمشق) .
(٢٤٠) رزأ ، ورُزأ ، ومَرْزَئة الرجل : اي ماله ، اصاب منه شيئا مهما كان اي نقصه ، والرجل اصاب منه خيرا يقال (هو يُرْزأ) اي انه سخي ينال الناس فضله .

التوابيت عليها وانصرفت بها رسل المنذر بن الريان حتى قدموا عليه فدفن ملوك قومه مع قومهم وبكى عليهم هو وقومه الذين وصل بهم ولما قضى بذلك ما قضى ركب بمن معه حتى نزل بسيّد العشيرة من قومه شهاب بن النويرة التّغلبيّ فاكرم منزله واقام عنده شهراً كاملاً على افضل الكرامة واحسن اليه وركب معه بأبي جدابة وفرسان من قومه حتى نزلوا بفارس الحيّ من شيبان عمرو بن ثعلبة فاستقبلهم باحسن القبول وسُرَّ بقدومهم سروراً شديداً واكرمهم بكرامةِ الملوك واقاموا عنده شهراً كاملاً كالذي اقاموا عند شهاب فلمّا استقرَّ بهم المجلس ذات يوم وقد حضروا سادات بني شيبان اقبل عليهم المنذر بن الريّان وكان وسيماً جسيماً فصيحاً حاذقاً شجاعاً قال يا معشر تغلب وشيبان فقد فُقتم بصبركم العربان ، واحسنتم الى لخمٍ وغسّان ، فنُعِّمَت بكم الاوطان ، وعزَّت بكم الجيران ، واعلموا انكم قد حفظتم الجوار واحسنتم الى الجار وهذه ابنة النعمان عندكم في اعزّ مكان وغِبطةٍ وأمان وأُنسها بالزوج الكريم خيرٌ لها من الوحشة فان طَلَبها مِنكم طالب أورغب اليها راغب فانتم لحافها الدّفئ ومنكم مسرّها الخفيّ وكاز منكم الزوج والوليّ فلا تريبّوا منها لشان هلاك ابيها فتلك امور قُدّرت ونحوسٌ انقضت فاجيبوني بجواب واجد فانا أناشدكم الله والجوار الا تكتموني شيئاً ولا أخفيتم عنيّ سرّاً ، قال فاطرق القوم رؤسهم عنه ساعة مليّة والباقون لهم ينتظرون الجواب فلما أطالوا الصّموت قال لهم ارفعوا رؤسكم واجيبوني فكل جوابكم مقبول عندي فانتم العماد والسّادة الاجواد فرفع عمروٌ رأسَه الى شهاب وقال الجواب بلسانك يا شهاب فتكلّم فقد اجزْنا لِحكمك ورضينا قولك قال فتكلم شهاب وقال والله ماَ حميناها ولا أجرناها لنفوسنا ولا لتصبح من عرائسنا بل فعلنا ذلك حين ضاقت بها الاماكن والان وفّيتَ في مغيبك ما يسوْك وادركتَ في حضورك ما يَسرُّك وهذه ابنةُ عمّك محفوظةٌ في العِزِ والكرم ملفوفة من بلية الندم مصونة من العاهات والتُهَم فامضِ رايكَ فيها ونحن لك عونٌ على ما تأته فاعلم ذلك قال فشكر لهم شكراً مستقبلاً غير الأول وجزاهم خيراً ثم انهمّ ظلّوا اخِرَ يومهم ذلك على احسن حال فلماّ كان عند طلوع الشمس أقبل شهاب على ابي جدابة وقال يا أبا جدابة اعلم ان عمرو بن ثعلبة قد رَفَدَ الَحرقَة من خيار إبله الف ناقة ولم يبقِ عنده إلاّ اَرْذالُها والآن قد نزل بنا هذا الملك المنذر بن الرّيان وقد بلغنا من مكارمه ما بلغنا وانا اريد اَنْ ارفده الف ناقة قال ابو جدابة افعل ما دَعَتك اليه نفسُكَ من فعل الخيرِ فنعم المذخور فعند ذلكَ نادى شهاب عمرو بن ثعلبة فاشركه في

رايه فشكر له عمروٌ شكراً كثيرا وركب شهاب بن نويرة وعمرو بن ثعلبة والمنذر بن الرّيان ومن معهم فسارَ بهم شهاب حتى نزل بهم في اوساط ابله وحكّم عمرو كما صنع عمروٌ اوّلاً فميّز شهاب منها الف ناقة للمنذر بن الرّيان بِرُعاتها فعظم الملك شكر شهاب بن النويرة وعمرو بن ثعلبة ثم انّهم زوجّوا المنذر بن الرّيان بابنة عمةّ الحرقة ابنة عمه النّعمان بن المنذر وامهرها الشيخ ثعلبة بن عمرو الشيباني من ماله وتوليّ صلاح شانها شهاب بن نويره وحلاّها باحسن الحُلّي وزينها بأحسنِ الزينة وكساها نفيسَ الكسوة وطيبّها باكرم الطيّب ودخل عليها الملك المنذر بن الرّيان في منزل شهاب وزُفت اليه بزفاف حسن فاقاموا على ذلك السرور زماناً ثم ان الملك المنذر بن الرّيأن أحضر عمرواً وشهابا وابا جدابة فحضروا اليه ثم انه استشارهم في مواصلة الملكِ كسرى ويُحيْي مُلكَ قومه ويعمر مدينتهم الحيرة فقالوا للشهاب انظر للرجل ما ترى من حسن رايلْ فتكلم شهاب وقال ايها الملك اما بنو ماء السماء فقد قتلْنا بهم اولاد الملك تسعة ملوك عن يد واحدة وامّا بعد ان تصّرمت هذهِ الفتن ومُعاقبة كسرى بعواقب الظّلم فلم نخش منه شيئاً فَاَحْيِ ملك قومك واعمر مدينَتهم فعند ذلك ودعهم المنذر بن الرّيان وركب في القوم الذين سارَ بهم من اليمن من قرابته الى كسرى فلما دنى من مدينة كسرى قدم اليه رسولاً يعلمه بقدومه ، قال وان الملك كسرى أمر بصوائحه في المدينة ان تأهبوا واركبوا بركوب الملك وامر قوّاده ووزراءه بالركوب في الزيّ الحسن الذي ما تزّيا به احدمن الملوك من قبله وتتابعت جنوده من بعده كالجراد المنتشر او كالسّحاب المتراكب حتى واجه المنذُر بن الرّيان ولم يكن رآه قبل ذلك ولم يكن في بني ماء السمآء اصبح ولا أفصح ولا اسمح ولا ارجح منه فأستقبله باحسن القبول وأَنصّفَهُ بالسلام خاصّة غير اصحابه وقدّمه الى دار مملكته فاكرمه واتحفه وكساه واصحابه من اللباس الذي يعّده لنفسه واعطاه من الاموال الجزيلة اكثر ما يكون ثم ولاه الحيرة[٢٤٢] وردّه على مقام عمّه النعمان بن المنذر وانصرف رائحاً الى بلده الحيرة[٢٤٣] فعمرهّا ونزل في قصر النعمان بن المنذر ثم سار في جماعة من قومه الى عمرو بن ثعلبة وشهاب بن نويرة فاخبرهم بالخبر والحال الذي هو عليه فرضيا له بذلك ثم قال يا ابا العشيرة اني راغب في الرحلة بالحرقة الى مدينة

---

(٢٤١) وردت في الاصل «دمشق»

(٢٤٢) وردت في الاصل «دمشق»

(٢٤٣) وردت في الاصل «دمشق»

ابيها والملك الذي اتصلت اليه صنيعة من صنائعكم فهل تاذنون لي ولها بالرّحلةِ قالوا ايها الملك لاخلاف في هذا قال لهم فانا اسألكم بالله لاتقطعون زيارتي في كل حين انتم وعشيرتكم وقد أمرْتُ بعمارة قصور بني ماء السماء لكم مشكروا له ذلك ثم ان الرجلين اسرجا خيولهما وركبا معه في ثمانين الف فارس بالآلة التي كانوا فيها أيام الحروب ودخلوا به وبعروسه الى الحيرة(٢٤٤) فخرج جنود الملك كسرى(٢٤٥) والتقوا الملك المنذر بن الرّيان كي يسيروا معه فلم يجدوا اليه سبيلا لأنهم رأوا خيولاً غير خيولهم وسلاحاً غير سلاحهم فهالهم ذلك لما رأوا الملك وتقدم عمرو بن ثعلبة وشهاب بن نويرة وقومهم حتى ادخلوا المنذر بن الرّيان داره وكان اراد تقديمهم فلزم شهاب على يد الملك المنذر بن الرّيان وقال له ليس هذا اوان ذلك حتى تُمكن في ملكك وتستقيم في سلطانك قال فاذن لهم المنذر بن الرّيان بالرواح ثم ان المنذر بن الرّيان استقام في ملكه وقوى سلطانه(٢٤٦) واتسّعت احواله بالحيرة(٢٤٧) وحَسُنَتْ ولايته بقبائله وبالعرب حيثُ كانت ، ورفد وفودهم واحسن اليهم ، ولم يزل كذلك حتىّ توسم موسم عكاظ(٢٤٨) هو وشهاب بن نويرة وابو جدابة وعمرو بن ثعلبة وواجهوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه بعد بيعة النفر الأربعة فسرّ بذلك سروراً كثيراً وايقن بالنصر وفارقوه ولحقوا بقومهم ، قال صاحب الحديث فثوى شهاب بن نويره ، وابن عمّه ابو جدابة آخر عامهما ذلك قال ومات عمرو بن ثعلبة في سنة الهجرة واما الملك المنذر بن الريّان فانه ادرك الاسلام وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد بدراً وقتل يوم أحد(٢٤٩) بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه .

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين

---

(٢٤٤) وردت في الاصل «دمشق»

(٢٤٥) لأن الحيرة كانت تحت سيطرة الغازي الفارسي آزاذبه بن بابيان بن مهر بنداذ الهمداني ، وقد حكم سبع عشرة سنة في زمن كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر ، وفي زمن اردشير بن شيرويه سنة وسبعة اشهر ، وفي زمن بوران دخت بنت كسرى شهراً : «انظر د . جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ٣٠٨/٣ .

(٢٤٦) تجمع المصادر على ان اخر ملوك الحيرة هو المنذر بن النعمان بن المنذر وهو الذي ملك الحيرة ما يقارب ثمانية اشهر (انظر د . جواد علي المرجع السابق ٣٠٨/٣ وما بعدها).

(٢٤٧) وردت في الاصل (دمشق) .

(٢٤٨) هو من اسواق العرب المشهورة قبل الاسلام .

(٢٤٩) هذه رواية غريبة لم نجد ما يؤيدها في المصادر الأخرى .

جريدة المصادر والمراجع :

أ - المصادر العربية القديمة :

- القرآن الكريم .
- ابن الأثير ، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري (ت ، ٦٣٠هـ) : الكامل في التاريخ (بيروت ، ١٩٨٠) .
- احمد بن حنبل (ت ، ٢٤١هـ) :
- العلل ومعرفة الرجال ، تحقيق طلعت قوج بيكيت ، واسماعيل جراح اوغلي (انقرة ، ١٩٦٣) .
- فضائل الصحابة ، تحقيق وصي الله بن محمد عباس ، مؤسسة الرسالة (بيروت ، ١٩٨٣) .
- البغدادي ، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت ، ٧٣٩هـ) .
مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، (بيروت ، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م) .
- التاجي ، محمد بن كامل التاجي الصاحبي (من أهل القرن السابع الهجري) الحلبة في اسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والاسلام ، تحقيق الدكتور عبد الله الجبوري (الرياض ، ١٩٨١) .
- حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله «ت ، ١٠٦٧هـ) : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تحقيق محمد شرف الدين يالتقيا ورفعت بيلكة الكيلسي (استانبول ، ١٣٦٠ / ١٩٤١) .
- ابن حجر ، احمد بن علي العسقلاني (ت ، ٨٥٢هـ) :
تهذيب التهذيب ، (حيدر آباد ، ١٣٢٥ - ١٣٢٧هـ) .
لسان الميزان (حيدر آباد ، ١٣٢٩هـ) .
- ابن حزم ، ابو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسي (ت ، ٤٥٦هـ) : جمهرة انساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة ، ١٩٧١) .
- الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي (ت ، ٦٢٦هـ) .

– معجم البلدان ، طبعة دار احياء التراث العربي (بيروت ، لا . ت) .
الخطيب البغدادي ، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت (ت ، ٤٦٣هـ) :
– تاريخ بغداد (القاهرة ، ١٣٤٩هـ / ١٩٣١ م) .
ابن خير الاشبيلي ، ابو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الاموي (ت ، ٥٧٥هـ) :
– فهرسة ماروواه عن شيوخه ، تحقيق فرنشكه (سرقسطة ، ١٨٩٣) .
الزبيدي ، محمد مرتضى (ت ، ١٢٠٥هـ) :
– تاج العروس من شرح جواهر القاموس (بنغازي ، بدون تاريخ) .
الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ، ٣١٠هـ) :
تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق ابو الفضل ابراهيم (القاهرة ، ١٩٧٠) .
ابو عبيدة ، معمر بن المثنى (ت ، ٢١٠هـ) :
– الأيام ، تحقيق الدكتور عادل جاسم البياتي (بغداد ، ١٩٧٦) .
ابو الفرج الاصفهاني ، علي بن الحسين (ت ، ٣٥٦هـ) :
– الاغاني ، طبعة دار الكتب المصرية (القاهرة ، ١٩٢٧ – ١٩٦١) .
ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم الدنيوري (ت ، ٢٧٦هـ) :
– الشعر والشعراء (القاهرة ، بدون تاريخ) .
القلقشندي ، ابو العباس احمد بن عبد الله بن سليمان (ت ، ٨٢١هـ) :
– قلائد الجمان ، تحقيق ابراهيم الابياري (القاهرة ، ١٩٦٣) .
ابن كثير ، عماد الدين اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت ، ٧٧٤هـ) :
– البداية والنهاية في التاريخ (القاهرة ، ١٣٥٨هـ) .
المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ، ٣٤٦هـ) :
– مروج الذهب ، تحقيق محي الدين عبد الحميد (القاهرة ، ١٩٦٤) .
ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت ، ٧١١هـ) :
– لسان العرب (بيروت ، ١٣٠٠هـ) . طبعة دار صادر .
ابن النديم ، محمد بن اسحاق ، (ت ، ٣٨٥هـ) :
– الفهرست ، تحقيق رضا تجدد طبعة ١٩٧١ .

ب - المراجع العربية الحديثة :

الدوري ، د . عبد العزيز :

- بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب (بيروت ، ١٩٦٠) .

جبران مسعود ،

- الرائد (معجم لغوي) دار العلم للملايين (بيروت ، ١٩٧٨) .

جواد علي (الدكتور) :

- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٣ (بيروت ، ١٩٦٩) .

عماد عبد السلام رؤوف (الدكتور) :

- الآثار الخطية في المكتبة القادرية ، ج ٤ (بغداد ، ١٩٨٠) .

كوركيس عواد :

- مصادر التراث العسكري عند العرب ، م ١ (بغداد ، ١٩٨١) .

المنجد في اللغة :

- دار المشرق (بيروت ، ١٩٧٣) .

النقشبندي : الاستاذ اسامة النقشبندي ، وظمياء محمد عباس :

- مخطوطات التاريخ والتراجم والسير (بغداد ، ١٩٨٢) .

رقم الإيداع ٩٩٠ في المكتبة الوطنية ببغداد

بتاريخ ١/١٠/١٩٨٧

سعر النسخة ١/٥٠٠ دينار

طبع [illegible] مطبعة سلمكو

[illegible] ١٩٨٨